الجمـــهورية الجزائريــة الديمقراطــية الشعبـــية الديمقراطــية الشعبـــية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي – سي الحواس– بريكة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

محاضرات في لسانيات النّصّ

السّنة الثّانيّة ماستر السّداسي الثّالث

تخصّص: لسانيات تطبيقية

إعداد الدكتور: خليل صلاح الدين بلعيد

السّنة الجامعيّة: 2019– 2020

تـــوطـئـــة

تعدّ لسانيات النص فرع معرفي جديد من فروع اللسانيات المتنوعة، التي تكوّنَت تدريجيًّا في سبعينيات القرن العشرين، وقد تجاوزت لسانيات الجملة بتوجهاتها المختلفة، كما أنها استثمرت جلّ النظريات اللسانية التي سبقتها، فهي بذلك ذات اختصاصات متداخلة تشكّل محور ارتكاز لعدة علوم، وتقوم على أساس التحليل التداولي الذي يولي عناية كلية بالنص كوحدة لغوية، داخل النص وخارجه، بناءً على سياق تفاعلي بين طرفين: المخاطِب والمخاطَب، وقد آثرنا الاعتماد على تعريفي روبرت دي بوجراند (R.Debeaugrande) وولفجانج دريسلر (W.Dressler) لمفهوم النصّ، حيث يريا بأنّه حدث تواصلي يلزم لكونه نصًّا أن تتوافر فيه سبعة معايير، وتنزع منه هذه الصفة إذا ما تخلف معيار واحد، على الأقلّ. وهذه المعايير تتمثّل في: الاتساق، الانسجام، المقصدية، المقبولية، الإعلامية، المقامية التناص. وقد صنّفناها إلى أصناف ثلاث: أوّلاً، حسب ما يتصل بالنص في ذاته؛ وهما معيارا الاتّساق والانسجام. وثانيًّا، حسب ما يتصل بمستعملي النصّ سواء أكان المستعمل منتجًا أم متلقيًّا؛ وذلك في معياري المقصدية والمقبولية. وثالثًا؛ حسب ما يتصل بالسياق المادي والثقافي الذي يحيط بالنصّ؛وذلك في المعايير المتبقية؛ الإعلامية، والمقامية، والتناص.

وعلى هذا الأساس جمعت اللسانيات النصية بين المناهج النقدية الحديثة التي تشترك في العنصر اللساني وتنظر إلى النص كبنية كلية مترابطة.

وقد استندت هذه المطبوعة البيداغوجية، **محاضرات(دروس) في لسانيات النصّ**، إلى خطة ضمت توطئة، وخاتمة، ومجموعة المحاضرات حسب مفردات عرض التكوين والتي توزعت كالآتي:

المحاضرة الأولى: لسانيات النص وتطورها

المحاضرة الثانية: الإشارة إلى الظواهر النصية في البلاغة العربية

المحاضرة الثالثة: فن المرافعة ومسألة الإقناع عند اليونان

المحاضرة الرابعة : مسألة المطابقة والمقتضى في البلاغة العربية

المحاضرة الخامسة: أثر دي سوسير وأبعادها

المحاضرة السادسة: التوجهات النصية بعد دي سوسير 1(الشكلانيون الروس والبحث عن الأدبية)

المحاضرة السابعة: التوجهات النصية بعد دي سوسير 2 (البحث عن نحو للنص في مقابل نحو الجملة *مفهوم توسيع النحو ومسوغاته)

المحاضرة الثامنة: التوجهات النصية بعد دي_سوسير 3 (محاولة هاريس من خلال *تحليل الخطاب*/ هارتمان)

المحاضرة التاسعة: قضايا لسانيات النص1(أ- تحديد مفهوم النص وإشكالاته).

المحاضرة العاشرة: قضايا لسانيات النص 2 ب-تحديد خصائص النص

المحاضرة الحادية عشر: قضايا لسانيات النص 3 ج-تصنيف النصوص د- إنتاج النص وتلقيه

المحاضرة الثانية عشر: نماذج القواعدية 1 نحو النص عند ايزنبرغ

المحاضرة الثالثة عشر: نماذج القواعدية 2 الوصف النصي ذو الاتجاه الدلالي

المحاضرة الرابعة عشر: نماذج القواعدية 3 الوصف النصي ذو التوجه التداولي

وقد اعتمدنا في إنجاز هذه المطبوعة البيداغوجية العلمية على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها:

***-محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب.**

*** - عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق**

*** - كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: سعيد حسن بحيري**

*** - كيرستن آدمتسيك، لسانيات النص، عرض تأسيسي، ترجمة: سعيد حسن بحيري**

وفي الختام نرجو أن يتحقق الغرض البيداغوجي التعليمي من هذه المطبوعة ليجد فيها الطالب الباحث ما يشبع نهمه، وخاصة متلقي ودارسي اللسانيات التطبيقية.

وما التوفيق إلاّ بالله..

د/ خليل صلاح الدين بلعيد.

فهرس المحتويات

الرقم	عنوان المحاضرة	الصفحة
	توطئة	
01	المحاضرة الأولى: لسانيات النص وتطورها	**01**
02	المحاضرة الثانية: الإشارة إلى الظواهر النصية في البلاغة العربية	**17**
03	المحاضرة الثالثة: فن المرافعة ومسألة الإقناع عند اليونان	**31**
04	المحاضرة الرابعة : مسألة المطابقة والمقتضى في البلاغة العربية	**46**
05	المحاضرة الخامسة: أثر دي سوسير وأبعادها	**69**
06	المحاضرة السادسة: التوجهات النصية بعد دي سوسير1(الشكلانيون الروس والبحث عن الأدبية)	**85**
07	المحاضرة السابعة: التوجهات النصية بعد دي سوسير 2 (البحث عن نحو للنص في مقابل نحو الجملة *مفهوم توسيع النحو ومسوغاته)	**98**
08	المحاضرة الثامنة: التوجهات النصية بعد دي سوسير 3 (محاولة هاريس من خلال *تحليل الخطاب*/ هارتمان)	**107**
09	المحاضرة التاسعة: قضايا لسانيات النص 1 (أ-تحديد مفهوم النص وإشكالاته)	**113**
10	المحاضرة العاشرة: قضايا لسانيات النص 2 ب-تحديد خصائص النص	**123**
11	المحاضرة الحادية عشر: قضايا لسانيات النص 3 ج-تصنيف النصوص د-إنتاج النص وتلقيه	**151**
12	المحاضرة الثانية عشر: نماذج القواعدية 1 - نحو النص عند ايزنبرغ	**160**
13	المحاضرة الثالثة عشر: نماذج القواعدية 2- الوصف النصي ذو الاتجاه الدلالي	**164**
14	المحاضرة الرابعة عشر: نماذج القواعدية 3 الوصف النصي ذو التوجه التداولي	**178**

المحاضرة الأولى: لسانيات النص وتطورها

مقدّمة:

ظهرت لسانيات النصّ كحقل معرفي جديد في أواخر القرن العشرين، واستوت كفرع من الفروع الهامة للدرس اللساني، مستثمرة بذلك جلّ النظريات اللسانية التي سبقته ممّا جعلته يشكّل محور ارتكاز علوم مختلفة.

سنتطرق في المحاضرة الأولى إلى جملة من المفاهيم التي لها علاقة بالدرس اللساني الغربي انطلاقا من لسانيات الجملة- التي تهتم بدراسة العلاقات بين أجزاء الجملة أو الجمل – إلى لسانيات النصّ التي تتجاوز الجملة بالنظر إلى شمولية النص، مع التركيز – في البداية – على أهم ما جاء في هذه الأخيرة من مصطلحات، وتحديد مفاهيمها.

- **تحديد مصطلحي:**

1. **اللسانيات/الألسنية:** تنسب اللسانيات إلى اللسان(مفردًا)، كما تنسب الألسنية إلى الجمع(ألسنة)؛ فالمصطلحان تمايزا في الربع الأخير من القرن العشرين عند لسانيي العرب، فالمصطلح الأول شاع استعماله بالمغرب العربي، بينما الثاني فقد استعمل في المشرق العربي.

فما هي اللسانيات اصطلاحا؟

اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة، حسب تعريف أكثر علماء اللسانيات أو اللسانيين، وبما أنها علم، يدرس اللغة أو اللهجة" دراسة موضوعية، غرضها الكشف عن خصائصها وعن القوانين اللغوية التي

تسير عليها ظواهرها: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والاشتقاقية. والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض، وتربطها بالظواهر النفسية، وبالمجتمع، والبيئة الجغرافية[i]

فالهدف الأساس من دراسة اللسانيات يتجلى في أن تكون هذه الدراسة" دراسة وصفية علمية بعيدة عن الاعتبارات المعيارية التي طبعت دائما الدراسات اللغوية والنحوية منها خاصة. فلا يهتم اللساني إلاّ بوصف الأحداث اللسانية وتحليلها كما تتحقق في الواقع وليس على الحال التي يريد هو أن تكون عليه".[2])بعيدا عن الذاتية.

وهذا ما أكّده دي سوسير عندما عرّف اللسانيات بأنها تدرس اللغة في ذاتها، ومن أجل ذاتها، "ومعنى دراسة اللغة في ذاتها: دراستها على الصورة التي تبدو فيها في الاستعمال، دون تدخل من الباحث بتعديل أو استحسان أو استهجان. ومعنى دراستها من أجل ذاتها: أن تدرس دراسة موضوعية".[3]

إذًا، فاللسانيات قد ارتبطت اللسانيات باللساني السويسري فرديناند دي سوسير(Ferdinand de Saussure) (1857–1913) الذي بلْوَر مفهومها، ووضّح حدودها من خلال محاضراته "اللسانيات العامة" في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين، فكانت، بذلك حقّاً إيذانا بتحوّلات جديدة مسّت ميادين كثيرة، على رأسها ميدان العلوم اللسانية.

وبما أنها علم من "العلوم الإنسانية الأساسية الذي يتخذ من لغة البشر موضوعًا لها يصفها ويحلل بنيتها. ونظرًا لعلاقة اللغة بمختلف جوانب السلوك والنشاط الإنساني، فإن علم اللغويات[اللسانيات] وثيق الصلة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية كعلم النفس وعلم الاجتماع، والتربية والأنثروبوجيا والفلسفة وعلم الحاسب الإلكتروني وغيرها. ويولي هذا العلم أهمية كبيرة لدراسة بنية اللغات واستخدامها وتعليمها وتعلمها ومسار تطورها عبر الزمن"[4]

تسعى اللسانيات للإجابة عما يأتي:

- "ماهي القواسم والسمات المشتركة بين اللغات؟ وما هي أوجه الاختلاف بينها؟

- كيف يتمّ تعلّم اللغات؟ ولماذا يتعلمها الأطفال بسهولة وبسرعة مقارنة بالكبار؟

- كيف تقترن المعاني بالكلمات؟ وكيف تتآلف الكلمات مع بعضها بعضًا لتشكل الجمل والعبارات؟

- كيف تتغير اللغات عبر الزمن؟ وكيف نحدّد المسار التاريخي للتطور اللغوي في غياب السجلات والوثائق؟

- كيف تختلف لغة الإشارة التي يستخدمها الصم البكم عن اللغة المنطوقة؟ وكيف تتشابه معها؟ كيف يتمّ إنتاج الأصوات اللغوية؟ وكيف تتشكل الكلمات؟

فإذا كانت ميدان اللسانيات هو لغة الإنسان لغة البشر، نتساءل فما هي هذه اللغة؟

نقول بإيجاز أن "اللغة صنو الحياة"[5] ماذا نقصد بذلك؟ فالإنسان في هذه الحياة يتفاعل مع غيره، مع كل ما يحيط به، فإنه يتعامل مع الآخرين عن طريق استعمال اللغة، فبدونها" لا يوجد أدب ولا فنّ ولا صناعة ولا علوم، وبدونها لا نستطيع أن نعبر عن ما يدورُ بخَلَدِنا من أفكار"[6].

فهي ،"نظام من الرموز التوفيقية تستخدمه مجموعة بشرية للتواصل فيما بينها."[7]" وتمثل أداتهم في التبليغ والإبداع والتعبير عما يجول في الخاطر. إنها الإدارة الرئيسة في المجتمع الإنساني لأنها الوسيلة الأكثر فعّالية في تمكين الفرد من الدخول في علاقات وتفاعلات اجتماعية مختلفة، وهي أداة الإنسان الرئيسية في التكامل مع الثقافة التي ولد فيها".[8]

2. **النصية:** عُرّف النصّ في اللسانيات الحديثة بأنّه" مجموع الملفوظات اللغوية التي يمكن إخضاعها للتحليل: فالنص، إذاً، عيّنة من السلوك اللغوي الذي يمكن أن يكون مكتوبًا أو منطوقًا"[9] وقد ربط كل من رقية حسن وهاليداي النص بمفاهيم ثلاثة:

– **النصّ الدال على مقطع لغويّ:** استخدما كلمة نص للدلالة على أي مقطع لغوي" يمكن أن يكون منطوقاً أو مكتوباً، نثراً أو شعراً، حواراً أو مونولوجاً، يمكن أن يكون أي شيء من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها، من نداء استغاثة حتى مجموع المناقشة الحاصلة، طوال اليوم، في لقاء

هيئة"[10] ومهما كان طوله على أن يشكّل كلّاً موحّداً وعلى هذا فالنصّ وحدة دلالية لا من حيث الشكل وإنّما من حيث المعنى.

- **النصّ متتاليّة من الجمل:** فرّقا بين الجملة والنص لبيان طبيعة هذا الأخير، بأنّه متتالية من الجمل،" شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصحّ بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتمّ هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة. يسمي الباحثان تعلق عنصر بما سبقه علاقة قبلية وتعلقه بما يلحقه علاقة بعدية. ويمكن أن نمثل لهاتين العلاقتين بما يلي:

س → ص = علاقة قبلية

س ← ص = علاقة "بعدية

فلا يمكن من وجهة نظرهما الاعتقاد أنّ النصّ يشبه الجملة ويختلف عنها من حيث الحجم أو من حيث الطول فقط بل الاختلاف بينهما يكمن في النوع فلا يعتبر النصّ وحدة نحوية أوسع من الجملة بكثير وإنما هو وحدة دلالية لا علاقة لها بالمسائل القواعدية البسيطة، وإنما الجمل تمثل وسيلة من الوسائل التي يتحقق بها النص.

- **النّصّيّة أو نسيج النّصّ:** أشارا إلى أنّ النصّ لا بدّ أن يتوفّر على ما يسمّى بالنصّيّة أو نسيج النص، "وهذا ما يميّزه عمّا ليس نصّاً. فلكي

تكونَ لأيّ نصّ نصّيّة ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغويّة التّي تخلق النصّيّة، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة"[11] التي تمنح النصّ صفة النسيج، فتستمدّ بذلك علاقة التماسك التي تتعلّق بأجزائه لتكونَ كتلةً واحدة مترابطة، وهو ما يتفق عليه بين علماء لسانيات النصّ بمعايير النصية التي تضمن للنص نصيته منها معايير تتعلق بالنص ذاته وهي الاتساق والانسجام ومنها معايير تتعلق بمستعملي هذه النصوص وهي المقصدية والمقبولية، ومنها معايير تتعلق بالوسط الثقافي والمادي وهي الإعلامية والسياق والتناص.

والحديث عن النص يدفعنا إلى أن نتطرّق إلى ظاهرة فكرية مقترنة به، وهي فعل القراءة، والنص بطبيعة الحال، كتب ليقرأ، ونصيته هذه لا تكتمل إلا بقراءته، [12] وقد ربط دي بوجراند ودريسلر النصية بالمعايير السبعة التي تحقق النصية حسب منظورهما.

3. تطوّر لسانيات النص:

يعدّ التطوير العمل المنجز على شيء بأسلوب جيّد نسبياً في مرحلة ما للوصول به إلى المستوى الممتاز،أي التغيير الذي يتجه نحو الأفضل أو التحويل من طور إلى طور تحقيقًا للأهداف المرجوة بصورة أكثر كفاءة. إلاّ أنّ التطور هو التغيير التدريجي الذي يحدث في بنية الكائنات الحية وسلوكها[13]

لسانيات النص:

حصر موضوع اللسانيات في اللسان، فكان بمثابة نقطة الانطلاق الفعلية لتأسيس علم لها. واستطاعت بذلك "أن تدرس الجمل أو القضايا دراسة علمية ومنطقية دقيقة فتمكنت من ضبط القواعد التركيبية والنحوية المتحكمة في بناء الجملة البسيطة أو المركبة التي اعتبرها اللسانيون منتهى التحليل النحوي الدقيق"[14] إلا أن لسانيات النصّ اتخذت بالمقابل مصطلحا آخر، حصر في كلمة "النص"، وتبنته كموضوع لها؛ لأنّ النصّ باعتباره "وحدة تلفظية كبرى تتحدد حدودها بضبط البنى الكبرى والشاملة لمفهوم النصّ وطرق انتظامه"[15] . كي تشكل بذلك نسيجا لسانيا، لا يبنى إلا من خلال" مجموعة القضايا[*16] والروابط والوصائل[**] التي تكوّن البنية النصية الكبرى.

ويمكن تحديد العلاقة القائمة بين اللسانيات ولسانيات النصّ ولسانيات الخطاب وحتى العلوم اللغوية الأخرى في ثلاث زوايا:

- الزاوية الأولى- العلاقة بين اللسانيات ولسانيات الخطاب-:

اللسانيات تدرس اللسان باعتباره شبكة من السمات القابلة للاندماج في نموذج صوري محدّد، بينما ينظر للسانيات الخطاب على أنها المجال اللغوي الذي من خلاله ينخرط متكلمون في مجالات لغوية تعبيرا عن مواقفهم المتنوعة.

– **الزاوية الثانية–العلاقة التراتبية–:** تأتي اللسانيات أولا، ثمّ المعارف الأخرى بمعنى أن دراسة الظاهرة اللغوية تمر حتما عبر اللسانيات ثم تأتي باقي المعارف.

– **الزاوية الثالثة –الدراسة اللسانيّة–:** تشكل الدراسة اللسانية منطقتين: منطقة علمية ومنطقة الهامش، ففي الأولى، تشكل اللسانيات النواة الصلبة، وأما الثانية، فتشكل المعارف الأخرى بما فيها تحليل الخطاب ولسانيات النص. وتكون تابعة للأولى[17] . وبما أن الجملة وحدة اتصال، فإنها تستند إلى وظيفتها في الخطاب، فيمكن عندئذ أن تكتسب وظيفة أخرى تختلف اختلافا تاما عن علم النحو التقليدي فهي من هذا المنظور، كوحدة لسانية يتمّ إنجازها لتبليغ رسالة مستخدمة أفعال الكلام.

فقد استفادت لسانيات النصّ من توجهات لسانيات الجملة ومن معطياتها، وتجاوزت قصورها دون أن تكون هناك قطيعة بينهما، لأن لسانيات الجملة" لم تعد كافية لكل مسائل الوصف اللغوي من حيث الدلالة والتداول والسياق الثقافي العام، وكل ذلك له دور حاسم في التواصل اللغوي، وقد أخرجت لسانيات النصية علوم اللسان من مأزق الدراسات البنيوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية"[18] .

تقاطع لسانيات الجملة مع لسانيات النّصّ: وهنا نلحظ اشتراك لسانيات الجملة مع لسانيات النصّ في معيارين اثنين:

- **المعيار الأول الاتساق:** يرتبط الاتّساق باللفظ ويهتم بظاهر النصّ أي" تلك الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها. وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية. ولكنها لا تشكل نصا إلا إذا تحقق لها من وسائل الاتساق ما يجعل النصّ محتفظا بكينونته واستمراريته"[19].

- **المعيار الثاني الانسجام:** أما معيار الانسجام، فإنّه يهتم برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص، ويكون متصلا بالمعنى، و"هو علاقة معنوية بين عنصر في النصّ وعنصر آخر يكون ضروريا لتفسير هذا النص، هذا العنصر الآخر يوجد في النص، غير أنه لا يمكن تحديد مكانه إلا عن طريق هذه العلاقة التماسيكة"[20].

مراحل تطور لسانيات النص:

تطورت النظريات اللسانية تطورا مذهلا، حيث نجد أنها قد انضوت تحت لواء لسانيات النص، باعتبارها علما جديدا متداخل الاختصاصات، وبذلك اتسع أفقها وتعددت اهتماماتها "فاعتمدت البنيوية على مفهوم البنية واعتمدت الوظائفية على مفهوم السياق واعتمدت التوليدية والعرفانية على مفهوم الإنتاج واعتمدت التداوليّة على مفهوم المقاصد وهي مقاربات أصبحت اليوم تشتغل متداخلة في مجال لسانيات النصّ وأصبح تحليل النصوص لا يخضع إلى منهج واحد من هذه المناهج"[21].

فلسانيات النصّ مرّت في علاقتها باللسانيات، عبر مراحل ثلاث، وهي كالآتي:

أ. **اللسانيات البنيوية:** بدأت المرحلة الأولى مع اللسانيات البنيوية، من خلال ملاحظات أكبر علمائها، كشارل بالي، وهيلمسلف وهاريس وغيرهم، ممن ألحوا على إقحام مصطلحي النصّ أو الخطاب واعتمادهما في الدراسات اللسانية، فكانت بداية بأسلوبية بالي التعبيرية، ثمّ دراسة هاريس لتحليل الخطاب (1952)، وفي نهاية الستينيات نجد إشارات عند دي بوجراند، تلمح إلى ضرورة توسيع مجال اللسانيات ليصل إلى مجال النصوص.

ب.**وضع أسس لسانيات ما وراء الجملة:** أمّا المرحلة الثّانية تمثّلت في وضع أسس لسانيات ما وراء الجملة، بالحديث عن الكلام والنّصّ والخطاب بمصطلحات ومفاهيم اللّسانيات البنيوية والتوليدية على حدّ سواء. واعتبر النص/الخطاب في هذه المرحلة متتالية من الجمل فحسب. وكانت المدرسة الألمانية التقليدية حاضرة مع (هايدولف) وفي الإنجليزية مع (هاليداي) و(رقية حسن) وفي الأمريكية (بايك) (Pike)، وفي المدرسة الفرنسية المتعلقة بتحليل الخطاب والتي ربطت الخطاب بالمحيط الثقافي والاجتماعي والسياسي. وكان لنظرية النحو التوليدي أثر كبير على هذه المرحلة في الوقوف على حقيقة النص/ الخطاب.

ت .**اللّسانيات النّصّيّة:** بدأت المرحلة الثالثة في مستهلّ السبعينيات وما زالت آثارها قائمة إلى يومنا هذا، حيث اتجهت نحو نظريات بديلة لما تمّ تداوله من تصورات سابقة حول تحليل الخطاب. وذلك بالاستفادة من نتائج إيجابية حققتها اللسانيات وبتراكم هام في مجال اللسانيات الخطابية التي انفتحت على الدراسات الأدبية والعلوم الإنسانية والمعرفية (علم الاجتماع اللغوي/علم النفس/ الإثنوميتودولوجيا).

وأبرز علماء هذه المرحلة بيتوفي (Petofi) وكونو (Kuno) ودريسلر(Dressler) ودي بو جراند (Debeaugrande) وفان دايك (T.van Dijk) وآدام (J.M.Adam)[22].

فقد كانت الاتجاهات الغربية الأولى في لسانيات النصّ متمثلة في أبرز الباحثين الذين خدموا هذا العلم الجديد، بجدية تامة، ومن بين هؤلاء، نجد: أنّ مايكل هاليداي، (1976) المؤسس الثاني لمدرسة لندن بمعية رقية حسن، وكوّنا معاً فرقة اهتمت اهتماماً بالغاً بتحليل النصوص، وقدّما بعد ذلك دراستهما التي نالت شهرة عظيمة، وكان ذلك سنة (1976) في كتابهما"(cohesion in English) لبحث وسائل الربط التي تتجاوز مستوى الجملة، تطبيقا على اللغة الانجليزية"[23]. فهما يمثلان الريادة الحقيقية ببحثهما هذا في مجال التحليل اللساني النصي، ليتجاوزا الجملة إلى البحث في العلاقات التي تربط بين الوحدات الصغرى (الجمل)، لتكوين وحدة كبرى (النص).

ورؤية فان دايك (T.A.Van Dijk) تتمثل حول التماسك النصي، التي قدّمها في كتابه النصّ والسياق (text and context) (1976)، التي تندرج ضمن إطارين: إطار البنية الداخلية للنص، وإطار المعطيات التداولية، إلا أن ما قدمه في كتابه علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات (1980) كان أكثر عمقا وشمولية، لدراسة النصّ من نواح متعددة، سواء أكانت من الناحية الدلالية والتداولية، أو من الناحية، البلاغية والأسلوبية، وحتى من المنظور النفسي والاجتماعي .

أما ما قام به كلا من روبرت دي بوجراند (Robert De) وولفجانج دريسلر (Wolfgang Dressler)، في تقديم منهج شامل جمعا فيه جهود الباحثين اللسانيين الذين سبقوهما، ووضعا بعد ذلك مدخلا مهمّاً لدراسة النصّ في كتابهما" مدخل إلى لسانيات النص" (introduction to text linguistics) أقرّا فيه أن نصية النصّ يشترط فيها سبعة معايير، هي:

الاتساق(cohesion)والانسجام(coherence)والمقصدية (Intentionnalité) والمقبولية(acceptabilité)، والإعلامية (informativité)، والسياق (contexte)،والتناص (intertextualité) .

كما انتشرت انتشارا واسعا عند العلماء الألمان، وجلّ كتبهم ترجمها سعيد حسن بحيري، وهي كالآتي:

1. علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، لـ فان دايك مترجم عن الألمانية، نشر مكتبة زهراء الشرق 2001م.

2. مدخل إلي علم لغة النص، لفولفجانج هاينه مان، وديتر فيهفجر مترجم عن الألمانية، نشر مكتبة زهراء الشرق 2003م

3. مدخل إلي علم النص، مشكلات بناء النص، لـ زتسيسلاف واورزنياك مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار 2003م..

4. التحليل اللغوي للنص، لـ كلاوس برينكر مترجم عن الألمانية، نشر مؤسسة المختار 2005م

5. علم لغة النص، نحو آفاق جديدة مقالات مختارة مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق 2008م

6. إسهامات أساسية في علم النص، مقالات مختارة مترجم عن الألمانية، نشر مؤسسة المختار 2008م.

7. أساسيات علم لغة النص، مداخل إلي فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه ومباحثه، لـ كلماير وآخرين.

8. لسانيات النص، مدخل تأسيسي، لـ آدمتسيك كيرستن مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق 2009م..

9. دراسات في علم اللغة لـ انجليكا لينكه وآخرين. القسم الثاني، مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق 2010م.

10. اللغة والفعل الكلامي والاتصال لـ زيبيله كريمر مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق 2010م.

11. دروس في علم اللغة لـ يوهانس فولمرت. مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق 2011م.

12. أسس علم لغة النص، التفاعل – النص – الخطاب لـ م . ف – هاينه مان نشر مؤسسة المختار 2011م.

13. نظرية النص وموضوع النحو، لـ هورست ايزنبرج مترجم عن الألمانية.

14. فهم النص، أسس معرفية واتصالية للاستيعاب اللغوي، لـ هانز شترونر، مترجم عن الألمانية.

الهوامش:

([1]) – عبد العزيز مطر، علم اللغة وفقه اللغة تحديد وتوضيح، دار قطري بن الفجاءة، قطر، 1985، ص19.

([2]) – خولة طالب الإبراهيمي/ مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنش، الجزائر، ط2، 20006،ص09.

([3])– عبد العزيز مطر، مرجع سابق، ص20.

([4]) – شحدة فارع، وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، مطبعة وائل للنشر والتوزيع، الأردن،ط3، 2006، ص08.

([5])– المرجع نفسه، ص10.

([6])– المرجع نفسه، ص10.

([7]) – المرجع نفسه، ص11.

([8])– السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 2008، ص11.

([9]) – محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ومجالاته تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2008، ص20.

([10])- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2006. ص13.

([11])- المرجع نفسه، ص13.

([12])– ينظر:محمد الأخضر الصبيحي،مرجع سابق، ص23.

([13])– ينظر: https://www.isalna.com/7925499 ، و https://hrdiscussion.com/ .

([14])- خليفة الميساوي، مرجع سابق، ص185.

([15])- المرجع نفسه، ص185.

(*)- نقلاً عن خليفة الميساوي الذي يرى أن القضية قد تعادل الجملة، أو تتجاوزها في التركيب والدلالة.

(**)- كما يعتبر"الروبط شأنًا نحويًّا"، وهي لا تتعدى الوظيفة النحوية التي تربط مكوّنات الجملة أو الربط بين الجمل مثل العطف أو الاستئناف، أمّا الوصل فهو تدوالي يتجاوز مجرد الربط إلى إحداث وظائف تداولية وتفاعلية وحجاجية وغيرها في تكوين بنية النص الكبرى. (ينظر: خليفة الميساوي ص186).

(17)- مصطفى غلفان، اللسانيات وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص80.

(18)- رشيد عمران، "مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، قراءة في بدايات ودواعي التأسيس والمساهمات العربية في اللسانيات النصية"، المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ج1، دار كنوز المعرفة الأردن ط1، 2013. ص379.

(19)- أحمد عفيفي، نحو النص، اتّجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001. ص90.

(20)- المرجع نفسه، ص90.

(21)- خليفة الميساوي، مرجع سابق، ص187.

(22)- ينظر: مصطفى غلفان، مرجع سابق. ص80.

(23)-عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009. صفحة ح.(مقدمة الكتاب).

المحاضرة الثانية: الإشارة إلى الظواهر النصية في البلاغة العربية

علم البديع بين اللفظ والاتساق (من تحسين اللفظ إلى اتّساق النص)، استقر الأمر منذ مرحلة التقعيد في البلاغة العربية (القرن السابع الهجري)، على أن وظيفة البديع تتجلّى في التحسين من خلال نمطين: الأول هو تحسين اللفظ أو المحسنات اللفظية. والثاني هو تحسين المعنى أو المحسنات المعنوية.

والسؤال المطروح: هل ثمة آفاق جديدة وذات قيمة لتلك الظواهر اللغوية في ضوء هذه المعالجة اللسانية؟ وإن كان الأمر كذلك، فهل يمكن الانتقال من الأفق الذي كان لهذه الظواهر في البلاغة العربية (أفق التحسين) إلى تلك الآفاق الجديدة؟ وكيف؟

رأت اللسانيات النصية أن الصفة الأساس في النص، هي الاستمرارية، وهي صفة تعني التواصل والتتابع والترابط بين الأجزاء المكونة للنص، وبصيغة أخرى تعني أنه في كل مرحلة من مراحل الخطاب نقاط اتصال بالسابقة عليها، وهذه الاستمرارية تتجسد في سطح أو ظاهر النص، وظاهر النص هي الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما

هي كمٌّ متّصلٍ على صفحة الورق. وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعًا للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصًّا إلاّ إذا تحقّق لها من وسائل الاتساق ما يجعل النص محتفظاً بكينونته واستمراريته.[1]

- **آليات الاتساق عند علماء البلاغة القدماء:**

- **مفهوم الاتساق في البلاغة العربية:**

تناول علماء العربية ظواهر الدرس اللساني في مستوياته المختلفة: – المستوى الصوتي – المستوى الصرفي – المستوى النحوي – المستوى المعجمي – المستوى الدلالي.

ودراسة هذه الظواهر لم يأخذ الشكل النظامي أو الشمولي، بل جاء متفرّقًا في مصادر عربية متعددة؛ ممّا يشكّل صعوبة الوقوف على هذه الظواهر في مصدر معيّن.

عبّر عبد القاهر الجرجاني عن مصطلح الاتساق[السبك] في نظرية النظم التي استوحى فكرتها من القاضي عبد الجبار، حيث أخذ الفكرة وطوّرها وجعلها علمًا له مبادئ وأصول؛ وذلك بتجاوز مفهوم الجملة إلى مفهوم النص، أو إلى منظومة الجمل التي تتفاعل وتترابط فيما بينها مكونة سياقًا أعمّ منها وأشمل، فلا حدود

للجملة المستقلة التي أوردها في سياق حديثه عن" الفصاحة"، إذ يرى أنها تتمثل في حسن ملائمة اللفظة في معناها لمعاني جارتها، وفضل مؤانستها لأخواتها، وهل قالوا(لفظة متمكنة ومقبولة)، وفي خلافه(قلقة ونابية ومستكرهة)، وغرضهم في ذلك أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقًا للتالية في مؤداها.

ويتبين أن النظم عند عبد القاهر الجرجاني نوعان:

أولهما: نفسي غير لغوي يضم الدلالة أو المعنى النفسي ويشكل قصد المتكلم أو غرض الكلام.

وثانيهما: لغوي يضم الألفاظ المنطوقة حيث تتلاحم الدلالات المعجمية بالدلالات السياقية على مستوى التأليف؛ ويستفاد من هذا أن عبد القاهر كان مدركًا لهذا المعيار من معايير النصية، وإن لم يفرد الحديث له.

ويتعرض لمصطلح "التضام" في كتابه "دلائل الإعجاز" إذ يرى أنّ ضمّ الكلمة للكلمة يرجع إلى اتصالهما معنىً لا لفظًا، كما أشار إشارات قيّمة لمباحث تندرج ضمن عناصر الاتساق عند

المحدثين من مثل(الحذف والإضمار ، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والتعريف والتنكير)، وهي جميعها قد عرفت عند المحدثين.

وأشار "أسامة بن منقذ"،[في كتابه البديع في نقد الشعر] إلى مصطلح الاتساق الذي عبّر عنه بلفظ(السّبك) إذ يقول: « السبك فهو أن يتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوّله إلى آخره..ولهذا قيل: خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض». أظن أن النصيين المحدثين، و لاسيما الذين عرّبوا مصطلحcohesion بالسبك، و coherence بالحبك، قد استقوا هذين المصطلحين من بيئة البلاغيين.

وقد علّق "الآمدي"[في كتابه الموازنة بين أبي تمام والبحتري] على ضرورة التوفيق بين لطف المعنى وجودة السبك وحسن اللفظ، إذ يقول: « وإذا جاء لطيف المعاني في غير ملائمة، ولا سبك جيد، ولا لفظ حسن، كان ذلك مثل الطراز الجديد على الثوب الخَلِق أو نفث العبير على خدّ الجارية القبيحة الوجه» وهذا ممّا يؤكد التفاف النقاد والبلاغيين إلى أهمية تلك العناصر في الإحاطة بالبنية الكلية للنص.[2]

كما نجد قدامى النقّاد يشيدون بالشّعر المتلاحم الأجزاء، باستخدام مصطلح السّبك[الاتساق]، كما أنّهم يستخدون صفة الاستمراريّة التي تميّز الشّعر عن غيره.

فالجاحظ يؤكّد أنّ أجود الشّعر ما كان متلاحم الأجزاء سهل المخارج؛ حيث سُبِك سبْكًا واحدًا. وهذا أبو هلال العسكري يعقّب على أبيات للنمر بن تولب بأنّها أبيات جيّدة السّبك حسنة الرصف.(3)

عناصر الاتساق: [السبك]

أوّلاً:عناصر الاتساق النحوي: تشمل؛ الإحالة، الحذف، الربط ، بالإضافة إلى الاستبدال والتحديد عند المحدثين.

- **الإحالة: (الإحالة بالضمير)**، درس القدماء الضمائر التي تتعلّق . حسب نظرهم . بالخفاء والدقة والباطن، وتتفرع في اللغة العربية حسب الحضور في المقام أو الغياب، وحسب مشاركة الأشخاص المشار إليهم في عملية التلفظ أو عدم مشاركتهم فيها إلى فرعين كبيرين متقابلين هما: ضمائر الحضور وضمائر الغياب، ثم تتفرّع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه

فيه، وهو المتقبَّل، وكل مجموعة منهما تنقسم بدورها حسب الجنس والعدد إلى أقسامها المعروفة.

أمّا ضمائر الغياب فمعيار التفصيل فيها لا يتجاوز الجنس والعدد، وضمائر الحضور أكثر تفصيلا من ضمائر الغياب، وهنا يرتبط بأولوية الشخوص المشاركة في عملية التلفظ؛ ومن ثمّ اهتم القدماء بإحالة الضمير، وهو ما اصطلحوا عليه بمرجعية الضمير، فذكروا أنّه لابدّ من عائد يعود إليه، قد يكون سابقًا مذكورًا مطابقًا للضمير، مثل قوله تعالى: (ونادى نوحٌ ابنَهُ) [هود42] فالضمير في ابنه مرجعيته سابقة إلى نوح. وقد يكون مرجعية الضمير إلى لفظ سابق متضمنًا له مثل قوله تعالى: (أعدلوا هو أقربُ) [المائدة8]؛ فإنّ الضمير هو محيل إلى أعدلوا المتضمن لمعنى العدل. وقد يكون مرجع الضمير دالاً عليه بالالتزام ومنه قوله تعالى:(إنّا أنزلناه في ليلة القدر) [القدر،1] والمرجعية في أنزلناه محيلة إلى القرآن لأن الإنزال يدل عليه التزامًا، وهذا النوع ممّا لم يُذكر عند النصيين؛ فدلّ ذلك على تعمّق القدماء لفكرة الإحالة.

-إحالة ضمير الإشارة: يعدّ ضمير الإشارة من عناصر الإحالة التي تعمل على تماسك النص وترابطه؛ لكونه يحدد دور

المشاركين في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري. وهو من العناصر المبهمة التي تحتاج إلى ما يفسرها متقدّمًا كان أو متأخرًا.

وقد التفت القدماء إلى إحالة ضمير الإشارة إلى متأخر في النص ذاته، يطابقه، كما في قوله تعالى:(وما هذه الحياة الدنيا إلاّ لهوٌ ولعِبٌ)[العنكبوت،64]وذلك لما فيها معنى التحقير والإهانة.(4)

ثانيًا: عناصر الاتساق المعجمي: يشمل التكرار والمصاحبة اللغوية (التضام).

عولج التَّكرار في البلاغة العربية، بوصفه أصلاً من أصول علم البديع عند كلّ من ابن رشيق القيرواني[العمدة]، وابن أبي الإصبع المصري [بديع القرآن]، وبدر الدين بن مالك [المصباح في المعاني والبيان والبديع]، والسجل ماسي [المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع] وغيرهم. كما عالجه غيرهم بتفصيل أكثر، في سياق بلاغي عام، كما هي الحال عند ضياء الدين بن الأثير [المثل السّائر في أدب الكاتب والشاعر] الذي عالجه في سياق الصناعة اللفظية.

وحدّ التكرار عند هؤلاء هو دلالة اللفظ على المعنى مردّدًا، وفي حدّ آخر يكشف عن قسمي التكرار: هو إعادة اللفظ الواحد

بالعدد أو بالنوع في القول مرتين فصاعدًا، إذن فالتكرار قد يكون في اللفظ والمعنى معًا، وهو التكرار اللفظي، وبتعبير لسانيات النص(إعادة العنصر المعجمي نفسه). ومن شواهده في البلاغة العربية:

قوله تعالى:{ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12) } [سورة الواقعة].

وقد يكون التكرار في المعنى دون اللفظ وهو التكرار المعنوي، وباصطلاح لسانيات النص (الترادف أو شبه الترادف). ومن شواهده في البلاغة العربية: قوله تعالى:(ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ويَنْهَون عن المنكر) [سورة]

نشير إلى أن هناك مفارقات في معالجة ظاهرة التكرار بين البلاغيين العرب وعلماء النص، نجملها فيما يلي:

الأولى: عالج البلاغيون العرب هذه الظاهرة من منظور بلاغي صرف؛ فكان التركيز على الكلام الأدبي والشعري خاصّة، وكذلك القرآن الكريم من حيث إعجازه البلاغي. بينما عالج علماء النص هذه الظاهرة من منظور لساني صرف؛ فشملت النصوص

بمختلف أنواعها، على أنّ منهم من حاول كشف نحو النص الأدبي/الشعري، مثل فان دايك.

الثّانية: علماء لم يقتصر علماء لسانيات النص في هذه المعالجة على مستوى الجملة، بل تجاوزها إلى مستوى الجمل والفقرة والنص بتمامه. بينما ركّزت المعالجة عند البلاغيين العرب في مرحلة التقعيد على الجملة أو البيت، وإن جاءت عندهم – أحيانًا – شواهد تجاوزت هذا المستوى.

الثّالثة: وقف علماء لسانيات النص على أربع درجات للتكرار، وهم في هذا أفادوا من الدراسات اللغوية والدلالية المعاصرة، بينما وقف البلاغيون العرب على درجتين فقط (إعادة العنصر المعجمي، والترادف أو شبه الترادف)، لكن في الشواهد التي أوردها البلاغيون العرب وتعليقات بعضهم عليها ما يفيد رصد الدرجة الثالثة في سلم التكرار (الاسم الكامل)، وإن لم يصطلحوا على تسميتها. كما أن عندهم رصدًا دقيقًا لأنماط عديدة من إعادة العنصر المعجمي، وقد خصّوا كلّ نمط بمصطلح خاص، وعدوه فنًّا برأسه من فنون البديع، ويرجع ذلك إلى التنافس الحاد فيما بينهم على رصد نوع أو فرع جديد من البديع.

الرابعة: سيطرت الغاية التقعيدية التعليمية على البلاغة العربية، بينما سيطرت على علماء لسانيات النص الغاية الوصفية التشخيصية.

وكان من نتائج هذه المفارقات – خاصة الأوليين – كشف البلاغيين العرب عن دور هذه الظاهرة في أدبية الكلام وشعريته على مستوى الجملة أو البيت غالبًا، بينما كشف علماء لسانيات النص عن دور هذه الظاهرة في الاتساق الذي يمثّل أهمّ عامل من عوامل النصية.[5]

- **علم البديع بين المعنى و الانسجام:(من تحسين المعنى إلى انسجام النص)**

وظّفت لسانيات النص العلاقات الرابطة بين المفاهيم، وظّفتها في الكشف عن الانسجام فيما بين الجمل والفقرات والنص بكامله. والسؤال الذي نطرحه، هو: هل يمكن لنا استجلاء هذه العلاقة في علم البديع؟ وهل يمكن توسيع نطاقها بحيث تتجاوز مستوى الجملة الواحدة والبيت الواحد؛ لتكون فاعلة في انسجام النص؟

تتجلّى العلاقات الدلالية في كثير من فن البديع؛ فعلاقة الإضافة– المتكافئة تظهر في التكرار المعنوي حين يكون على مستوى الجمل، وذلك مثل قولنا: (لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له)؛ لأن قولنا (لا إله إلاّ الله)، مثل قولنا:(وحده لا شريك له)، وهما في المعنى سواء؛ وإنّما كرّرنا القول فيه لتقرير المعنى وإثباته.

ويقع التكرار المعنوي على مستوى الشعر، فهذا ابن رشيق يعلّق حول هذه الظاهرة لدى امرئ القيس بأنّ لا أحد نبّه عليها. قال امرؤ القيس:

فيا لكَ منْ ليلٍ، كأنَّ نجومَهُ بكلِّ مُغَار الفتْل شُدّتْ بيذبُلِ

كأنّ الثُّريا عُلّقتْ في مَصَامها بأمراسِ كتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدلِ

فالبيت الأول يغني عن الثاني، والثاني عن الأوّل، لأنّ معناهما واحد؛ لأنّ النجوم تشتمل على الثُّريا، ويذبل يشتمل على صُمّ جندل، وقوله (شُدّت بكلّ مغار الفتل) مثل قوله (عُلّقت بأمراس كتّان)، ويسمي هذه الظاهرة ابن أبي الإصبع المصري بالاقتدار؛ لأن المتكلم يبرز المعنى الواحد في عدّة صور اقتدارًا منه على نظم الكلام وتركيبه، وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض.

وقد يضاف إلى المتكافئ الدلالي المتحقق عبر تكرار المعنى، تكافؤ لفظي وتركيبي، وذلك حين تعاد الجملة لفظًا ومعنى، كما في قوله تعالى من سورة الكافرون:

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)}

أبرز ابن الأثير وجه الفائدة من التكرار في هذه السورة الكريمة، بأن قومًا ظنّوا أنّ فيها تكرارًا لا فائدة فيه، وليس الأمر كذلك، فمعنى (لا أعبد) آلهتكم مستقبلاً، ولا أنتم مقبلون على عبادة إلهي، ولا أنا عابد ما عبدتم، يعني أنّه لم يُعهد منّي عبادة صنم في وقت ما، فكيف يرجى منّي ذلك في الإسلام، ولا أنتم عابدون، فيما سلف، وما أنا على عبادته الآن.

وتظهر علاقة(التقابل) في فنّ المقابلة، ففيها يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معانٍ متوافقة، ثمّ بما يقابلها على التّرتيب، كقول المتنبي:

فَلاَ الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُقْبِلٌ ... وَلاَ الْبُخْلُ يُبْقي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدْبِرُ

نجد في البيت تعاضد التوازي التركيبي الصوتي مع التقابل الدلالي، ممّا جعل البيت مسبوكًا محبوكًا معًا، وهذا التعاضد عند ابن رشيق هو أفضل أنواع المقابلة.[6]

الهوامش:

---

[1]– ينظر:جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط1، 1998، ص ص: 75 – 76.

[2] – ينظر: نادية النجّار، علم لغة النص والأسلوب،مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، 2015، ص ص:26 – 28.

[3] – ينظر: جميل عبد المجيد، مرجع سابق، ص 77.

[4] – ينظر: نادية النجّار، مرجع سابق، ص38.

[5]– ينظر: جميل عبد المجيد، مرجع سابق، ص ص: 84– 86.

[6] – جميل عبد المجيد، مرجع سابق، ص ص:141 – 151.

المحاضرة الثالثة: فن المرافعة ومسألة الإقناع عند اليونان

اهتم اليونانيون بالبحث اللساني، وعلى رأسهم الفلاسفة الذين اشتغلوا" بالتنظير اللغوي، ولو بطريقة عرضية في الأقلّ، واشتملت المحاورات الفلسفية –عادة – على مناقشات ذات صلة مباشرة بالقضايا اللسانية.

وقد حظيت إحدى هذه المناقشات بشهرة خاصة، ونعني بها قضية البحث في إمكان وجود ارتباط منطقي مباشر بين المعاني التي يعبّر عنها بالكلمات، وبين أشكالها الصوتية، أم أن الارتباط بينهما عفوي ناتج عن المصادفة".[1]

واهتمّ علماء البلاغة اليونانيون بالظواهر النصية قبل أن تظهر لسانيات النص بزمن طويل، حيث شكّلت البلاغة الكلاسيكية الأرضية الخصبة لهذا المجال العلمي عبر فنّ المرافعة ومسألة الإقناع، لذا اعتمد السوفسطائيون الخطابة في التأثير على الجماهير، وكانوا المؤسسين الفعليين لها، والممهدين لأعمال أفلاطون (Platon)، وأرسطو (Aristote)، حيث اشتهر جورجياس (Gorgias)، بقدرته على استعمال الكلمات الشعرية المؤثرة في المستمع والمتلاعبة بعواطفه، فكان أوّل خطيب ينبري لإظهار

أهميّة الخطابة باعتبارها من أهمّ مقوّمات الممثل والسّياسي، بما لها من قدرة على التّأثير والإقناع.

فإقناع الآخر من أهمّ العوامل المساهمة في توصيل لغة النص بطريقة تجعله أكثر إبلاغًا من نص قد لا يقنع ولا يؤثر في مستقبليه، لأنّه في هذه الحال يعيق التواصل حسب أفلاطون، حيث ينبغي علينا في مستوى الشّعر مثلاً أن نراقب الشعراء ونحملهم على أن يبرزوا في إنتاجهم صورة الخلق الخيّر، وإلا عاقبناهم بالحرمان من التأليف، لأن الفائدة من النص ليست حفظه وحسب إنما حفظه بفهمه وإيصاله إلى الآخر بالطريقة المثلى، أمّا الخطابة فقد لحقت بالشّعر في رأيه، لأنّه لم يكن يعتبرها أداة للتكوين السياسي للمواطن كما أنّها تتغذى من أفكار مائعة.

ارتبطت ظاهرة المرافعة بمسألة الخطابة كما تناولت كلّ واحدة منهما(الخطابة والمرافعة) عملية توصيل النص إلى الآخر، فهما عنصران هامان يدخلان ضمن الإرهاصات التأسيسية للسانيات النص الحديثة، لقد شرّع أرسطو فنّ المرافعة في كتابه "الخطابة" بهذا التساؤل: كيف نؤثر في نفوس الحكّام؟[2]

ا. <u>فن المرافعة</u>:[3]

تعدّ المرافعة فنّ يرتبط بالخطابة، فهي جزء منها لوجود تشابه وترابط بينهما، بل هناك من يذهب إلى أنّها مرادف حديث للخطابة، يحملان نفس المعنى الاصطلاحي.

إلاّ أنّ الخطابة أشمل منها، وأوسع، فهي صناعة علمية يمكن بواسطتها إقناع الجمهور بالأمر الذي يتوقّع التّصديق به قدر الإمكان، أو هي بمفهوم آخر، قدرة المتكلّم مع النّاس بشكل يعنى بالغرض المطلوب، أمّا المرافعة – حسب رأي أرسطو – تكون قضائية تتوجّه إلى الدّفاع وإمّا إلى الاتّهام، أي أنّها دفاع شفوي يتمّ أمام مجلس القضاء الذي يعتمد الخطابة والمطارحة والمحاججة لتغليب أحد الطّرفين (المدعي أوالمدعى عليه).

والمرافعة نطاقها ضيّق، أي أنّها ترتبط بالمحكمة وما يدور في فلكها، فهي بذلك إبداع فنّي خالص من المترافع، ويمكن أن نقول بأنها تقنية يمزج فيها المترافع بين العلم والفن لتحقيق رهان التأثير في القاضي وإقناعه.

البعد العلمي للمرافعة:[4]

لا يكفي المترافع أن يعرف كيفية التّكلّم والتّأثير في المتلقي، بل عليه أن يبني علمه، وتأثيره على أسس موضوعية وعلمية، و لا يمكن له، كذلك، أن يعمل في منأى عن علمي النفس والاجتماع. فما هي العلاقة بين هذين العلمين والمرافعة؟

- **المرافعة وعلم النفس:**

لا تجدي مؤهلات المترافع نفعًا إذا لم يحسن استغلال أسلوب التعامل النفسي مع المتلقي، لأنّه مقبل على مواجهة أنماط متعددة من السلوك، يحبّذ الاستعداد لها.

ودراسة علم النفس أمر لابدّ منه، لأنه يزود المترافع بآليات تسهل عليه تحليل وفهم سيكولوجية المتلقي (القاضي)، والتغلغل في نفسيته عن طريق دراسة الوعي ومقاصده. ليتمكن من تفسير العمليات السيكولوجية بالربط بين أفعال الإيماء والسّماع وتكوين صورة ذهنيّة للمتلقي عن الموضوع.

وأكثر المرافعات تركز على الجانب النفسي لكسب رهان إقناع المتلقي، من خلال بناء مرافعة نموذجية في أسلوب الإقناع في القضايا التي تتبني على الأسلوب الشفوي(خاصة في المحاكم).

- **المرافعة وعلم الاجتماع:**

مادام هناك تكامل ما بين القانون والمجتمع، فالمترافع لا يستطيع الخروج عن السّياق الاجتماعي باعتباره مطبّقًا للقانون على أرض الواقع.

وعلم الاجتماع وعلم يدرس الإنسان وسلوكه من منطلق محيطه الاجتماعي وبيئته وطبيعة العلاقات السّائدة، فكلّ مجتمع بأطيافه يخضع لمنطق التّطوّر والتّغيير والتّأثير الاجتماعي، حيث يبرز دور علم الاجتماع في بناء مرافعة ناجحة في كونه يسهل على الترافع فهم جوهر القضية وملابساتها وظروفها، عن طريق معرفة أسبابها وآثارها لاستنتاج حجم التّداخل القائم بين كلّ العوامل الاجتماعية.

لا يكتفي المترافع أن يلمّ بعلمي النفس والاجتماع، فقط، وإنما عليه أن تكون له دراية بكل العلوم الأخرى، التي تتغذى منها المرافعة، لتوسيع ثقافته وتعزيز معانيه وتقوية أفكاره وحججه.

- **مقوّمات المرافعة:**[5]

ليست المرافعة إيصال المعلومات إلى المتلقي، بل هي أسلوب يسلكه المرافع لإيصال أفكاره إلى الطّرف الآخر بكلّ

وضوح، وهي التي تمتزج فيها كلّ الأدلة التي تكفل بالإقناع، ومن أهمّ مقوماتها:

1. **اللغة:**

تقوم لغة المرافعة على أمرين؛ الأمر الأول: بلاغة التّعبير، حيث تتجلى صحّة اللغة، واستراتجية الخطاب المناسب، وإدراك السّياق الذي تجري فيه التواصل، والالتزام بآداب التّخاطب. أمّا الأمر الثّاني: بلاغة التفكير، تتجلى في دقة الاستدلال (استخدام آليات الإقناع)، وأصوات الحجاج (استخدام الأساليب: التعجب، الاستفهام، السخرية، التكرار، الاستعارة، التشبيه)، فلغة المرافعة لابدّ أن تكون مختصرة سهلة بعيدة عن الاصطناع والتلميح المبالغ فيه.

2. **الارتجال:**

لابدّ أن تكون المرافعة مرتجلة، لكي تؤثر في القاضي (المتلقي)، ويتجاوب معها، فهذا الأسلوب يحتاج إلى موهبة عظيمة وإلهام كبير بقواعد القانون.

II. مسألة الإقناع:

- **فن الخطابة:** لأرسطو

الخطابة – حسب رأي أرسطو – "قوة تتكلف الإقناع الممكن في كلّ واحدٍ من الأمور المفردة. وهذا ليس عملَ شيءٍ من الصّناعات الأخرى، لأنّ تلك الأخر إنّما تكون كلّ واحدةٍ منها مُعلّمة ومقنعة في الأمور تحتها. فالطّبّ يُعَلِّمُ ويقنع في أنواع الصحة والمرض؛ والهندسة في الأشكال التي تحدث في الأجسام؛ والحسابُ في ضروب الأعداد ".[6] وبقية العلوم التي تختلف فيها درجات الإنسان من حيث الإقناع.

فالخطابة صناعة، قبل كلّ شيء، يعدّ النفوس لعمليّة الإقناع، هنا ترى الخطابة قوة صانعة للإقناع الذي وصفه أرسطو بالممكن، ليشير إلى أن صنعة الخطابة تعد النفوس لعمل الإقناع، وإن لم تبلغ غايتها الكبرى شأن الصناعات والفنون الأخرى التي تعد النفوس لعمل معين وإن تفاوتت درجات الناس في الإقناع.

- **الخطاب الإقناعي عند أرسطو من خلال كتابه الخطابة**

يقسّم كتاب الخطابة إلى مقدّمة وثلاث مقالات:[7]

- المقدمة: أدمجها أرسطو في المقالة الأولى، حدّد فيها طبيعة الخطابة وعلاقتها بالعلوم والفنون المجاورة لها كالجدل والأخلاق والسياسة والشّعر. وقسّمها حسب المقامات إلى: 1. استشارية 2. قضائية 3. تقويمية (مدح وهجاء).

- المقالة الأولى: الأخلاق والأدلة المناسبة لكلّ نوع والوسائل الإقناعية الصناعية الخاصة بالخطابة القضائية.

- المقالة الثانية: الأحوال النفسية المؤثرة في المخاطبين والأقيسة الخطابية والأمثال.

- المقالة الثالثة: الأسلوب وترتيب أجزاء القول.

وذلك حسب الخطاطة التالية:

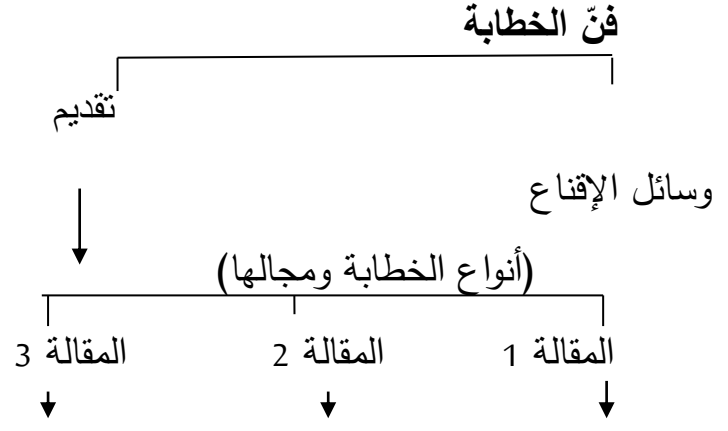

1.الأخلاق الخاصة بكل نوع 2.الحجج الصناعية غير النصية	1.الانفعالات العامة. 2.القياس الخطابي والمثال.	1.الأسلوب. 2.ترتيب أجزاء القول.

- **طرق الإقناع عند أرسطو:**[8]

الإنسان بحّاثة عن الحقيقة، بسبل متنوّعة، كالمناقشة، والحجاج، والفلسفة، والعلوم، والفن، أيضًا، عندما تتضارب آراؤنا حول الحقيقة، نحتمي بلعبة الإقناع، نحاول إقناع الطرف الآخر بشتى الأساليب، وإيهامه بأنّه الاعتقاد الحقيقي. فإنّ فنّ الإقناع أمر مهمّ للغاية، لأنّه يسمح للحقيقة أن تكسب الأكاذيب. سنكتشف الطرق الثلاثة للإقناع –حسب رأي أرسطو– التي وضعها في كتابه "الخطابة". والخطاب بالنسبة له هو فنّ الإقناع وليس اللغة التي لا معنى لها (التي يستخدمها كثير من السياسيين).

1. **الإيتوس(الأخلاق): الإقناع عن طريق الشخصية**

أول طرق الإقناع هي الإقناع عن طريق الشخصية (سمعة المتحدث وشخصيته) أو المصداقية، أي الشخص الذي يحظى بثقة الآخرين هو أكثر الناس إقناعًا. لذا طرح أرسطو ثلاث صفات

يتمتع بها الشخص الموثوق: -الحس السليم – حسن الخلق – حسن النية.

أ. **الإحساس الجيد:** لهذا الشخص شعور جيّد عندما نثق في حكمه، فهو ذو مصداقية في المجال الذي يتحدث فيه.

ب. **الأخلاق الحميدة:** ولديه – أيضًا – أخلاق جيّدة عندما نتوقع منه أن يفعل الشيء الصحيح.

ت. **النية الحسنة:** ويتمتع بنية حسنة عندما نعتقد أن لديه مصالحنا الفضلى.

2. **<u>الباثوس(العاطفة المستخدمة):</u> الإقناع عن طريق العاطفة**

نعتمد كليًّا على حالتنا العاطفية، ونكون أكثر ميلاً إلى تبني اعتقاد معين، كنشوء مشاعر معينة أو اختفائها، لأن هذه المشاعر تجعل المستمع أكثر عرضة للاستماع والأخذ بما يقال. فهي نداء مشاعر وعواطف الجمهور، وتكون قوية إذا استخدمت استخدامًا جيّدًا.

وقد تحدث أرسطو عن هذه المشاعر (الثنائيات العاطفية السبعة) التي طرحها في الجزء الثاني من كتابه "الخطابة"، وهي:

- الغضب مقابل الهدوء:

إن إهانة شخص ما يعني أنك تشوه سمعته بطريقة ما. وقد يشعر بالهدوء عند القيام بعكس هذه الأفعال.

- الصداقة مقابل الكراهية:

نشعر بالود تجاه من يريد الخير لنا، وإذا كان العكس، فإنّنا نشعر بالكراهية.

- الخوف مقابل الثقة:

نشعر بالخوف عندما يكون لدى شخص ما القدرة على إلحاق الأذى بنا، ونشعر بالثقة عندما لا يوجد. هذا الخطر.

- الحياء مقابل الوقاحة:

نشعر بالحياء عندما يتم التشكيك في مصداقيتنا، كما يسميه أرسطو، ونشعر بالخزي والوقاحة عندما نكون غير محترمين.

- الطيبة مقابل القساوة:

يعتقد الناس أننا طيبون عندما نساعدهم، خاصة إذا كانوا في حاجة إليها، ويشعرون بأننا غير مرتاحين عندما لا نساعدهم.

- الشفقة مقابل السخط

نشعر بالشفقة على شخص يعاني من أمر ما، ونشعر بالسخط عندما نراه يعمل بشكل لا يستحق ذلك.

- الحسد مقابل المنافسة:

المنافسة أفضل من الحسد، فالحسد هو تمني زوال نعمة الآخرين، والمنافسة هي الرغبة أن يكون لك نفس الحظ مع الآخرين.

3. اللوغوس:(المنطق) الإقناع عن طريق المنطق

- الحجة الاستنتاجية:

تقدم الحجة المنطقية الجيدة سلسلة من الافتراضات: عبارات صحيحة أو خاطئة. استنادا إلى هذا نتوصل إلى استنتاج. والحجة الاستنتاجية الصوتية تكون مقنعة للغاية لأنها صحيحة ومبنية باستخدام منطق يسهل متابعته.

- الحجة الاستقرائية:

يقال إن الحجة الاستقرائية تكون مقنعة عندما تكون جميع مبانيها صحيحة بالفعل

- الحجة الاستدلالية:

عندما تقوم بجمع مجموعة من البيانات ثم تحديد استنتاج يشرح أفضل مجموعة من البيانات.

وإذا ما استخدمت إحدى هذه الحجج الثلاث، يمكنك أن تصبح أكثر إقناعًا لأن الأشخاص غالبًا ما يكونون مقتنعين بمنطق قوي يسهل متابعته.

وفي الأخير، فإنّ البلاغة تعدّ فنًّا خطابيًّا بامتياز، تتبنى أدوات حجاجية واستدلالية ومنطقيّة للتأثير في الطرف الآخر، وإقناعه ذهنيًّا ووجدانيًّا، ويتمّ ذلك الحجاج عبر مجموعة من الوسائل الأدائيّة:

- فيتحقّق عبر [الإيتوس] الذي يتمثّل في مجموعة من القيم الأخلاقية والفضائل العليا التي ينبغي أن يتحلّى بها الخطيب أو البلاغي المرسل.

- ويتجسّد في [الباتوس] الذي يتعلق بالمخاطب، ويكون في شكل أهواء وانفعالات أو ما يسمّى في الثقافة العربية بالترغيب والترهيب.

- ويتحقّق عبر[اللوغوس] الذي يعني الكلام والحجج والأدلة، ويظهر ذلك جليًّا في نسق الرسالة التواصلية.(9)

الهوامش:

(1)– ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد مصلوح، وفاء فايد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط2، 2000، ص10.

(2)– ينظر:عايدة حوشي،"لسانيات النص من المفهوم إلى الآليات الإجرائية، مجلة جامعة ابن رشد، هولندا، ع7، ديسمبر2012، ص ص:43–44.

(3) – ينظر: مريم حمّوش، "فنّ المرافعة"، مجلة قانونك الإلكترونية، دراسات وأبحاث،المغرب، ع2، أبريل –يونيو 2017، ص ص: 11–12

https://9anonak.blogspot.com/2017/04/Revue.9anonak.N-2.Avril-Juin.2017-

(4) – ينظر: مريم حمّوش، المرجع نفسه، ص ص:13 –15.

(5) – ينظر: مريم حمّوش، المرجع نفسه، ص ص :21 –23.

(6)– أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، ص9.

(7)– ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب،ط2، 2010، ص ص:267 –276.

(8)- Aristotle, Rhetoric, Translated by W.Rhys Roberts.http://classics.mit.edu/Aristotle/rhetoric.html

9 – ينظر: جميل حمداوي، من البلاغة الكلاسكية إلى البلاغة الجديدة، مكتبة الآلوكة، ص7. https://www.alukah.net/library

المحاضرة الرابعة: مسألة المطابقة والمقتضى في البلاغة العربية

1. البلاغة بين اللغة والاصطلاح:

البلاغة لغةً الوصول والانتهاء، يقال: بلغ فلانٌ المكانَ يبلغه بلوغًا وبلاغًا. إذا وصل وانتهى.

والبلاغة اصطلاحًا حسب تعريف الجاحظ لها، قال:"لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[1]

وعرّفها الرماني(386هـ) بأنّها" إيصال المعنى إلى القلب، في أحسن صورة من اللفظ"[2] فهي من هذا المنظور تهدف إلى توصيل المعاني إلى القلب، واختيار اللفظ الفصيح.

وقد كان عبد القاهر الجرجاني(471هـ) لا يفرق بين البلاغة والفصاحة والبراعة والبيان، فكلّها كانت بمعنى واحد عنده.

وعندما استقرت علوم البلاغة، أصبح التفريق بينها واضحًا، ومن بين هذه التعريفات، تعريف الخطيب القزويني (739هـ)، حيث قال: "بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته".[3]

فالكلام البليغ كلام واضح المعنى، فصيح العبارة، ملائم للوضع الذي أطلق فيه، وللأشخاص الذين يُخاطَبون به.

ومقتضى الحال معناه وضع الكلمة المناسبة في المكان المناسب، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم، ومراعاة المقامات والمواقف المختلفة التي يقال من أجلها الكلام، لذلك قيل: لكلّ مقام مقال.

ويقوم تعريف البلاغة على ثلاث دعائم:

أ. اختيار اللفظ الفصيح

ب. حسن النظم والتأليف

ت. اختيار الأسلوب المناسب للمخاطب(مراعاة مقتضى الحال).[4]

2.أهداف البلاغة:

البلاغة علم" يعنى بتجويد الكلام من أجل توصيله واضحًا إلى الأذهان، وهي التي تمدّه بالجمال الذي يؤثر في العقول والقلوب، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم:(إنّ من البيان لسحرًا)؛ فالبلاغة بمثابة السحر الحلال الذي يكون له من السلطان وقوّة الإقناع والتأثير في نفوس المخاطبين".[5]

وللبلاغة أهداف منها:

أ. التأثير والإقناع

ب. الوقوف على أسرار الإعجاز البياني في القرآن الكريم

ت. تلمّس دقائق اللغة العربية، ومعرفة أسرارها.

ث. البلاغة فرع نقدي، ومعرفة الناقد بها ضرورية.

ج. اكتساب مهارات الكتابة الإبداعية.[6]

3.علم المعاني

أ. تعريف علم المعاني:

علم المعاني أصله النظرية التي وضعها عبد القاهر الجرجاني، أي نظرية النظم، يعنى بها تعليق الكلام بعضه على بعض، وتوخي معاني النحو.

عندما نقرأ في علم النحو نجد أنّ الخبر قد يتقدم على المبتدأ، والمفعول يتقدم على الفعل، وحينما نبحث عن السر في ذلك، فإن الأمر ليس جزافًا، وإنما هناك غرض من أجله كان هذا التقديم، لذلك يرى الجرجاني أنّنا حينما ننطق بأيّ جملة، ونركّبها من كلماتها، فإنّ هذا التركيب ناشئ عن المعنى الذي هيأْناه في نفوسنا، وأردنا أن نعبّر عنه بهذه الألفاظ.

فالنظم، إذن، لا بدّ له من أمرين:

- المعنى الذي نريد التحدث عنه،
- اللفظ الذي نعبر به عن هذا المعنى،

فإذا اختلف المعنى الذي نريد التعبير عنه، فلا بدّ من اختلاف اللفظ، حتى إن كانت مادته واحدة. هناك إذن: الصورة والمعنى الذي نعبر عنه بهذه الصورة، نضرب أمثلة توضيحية حول ذلك:

- إنّما المتنبي شاعر.
- أ تقرأ كتاب الأيام؟
- لا ضجّة في الحجرة المجاورة.

المادة اللغوية في هذه الأمثلة واحدة، حينما يختلف المعنى تختلف الصورة. وقد نتجاذب الحديث حول هذه الموضوعات، فهذا يرى أنّ المتنبي حكيم وليس بشاعر، وهذا يرى أن طالبا عزف عن دراسة مواد الامتحان وانهمك في قراءة كتاب الأيام! وذاك أعجب بهدوء طلاب الحجرة المجاورة. فعبر كل واحد منا بمعانٍ كانت في نفسه.

لكن قد يتغيّر المعنى، إذا تجاذبنا الحديث هذه المرة، فبعضنا يرى أن أبا تمّام أشعر من المتنبي؟ لكني أرى العكس،

فأعبر عمّا في نفسي من معنى، وأقول: إنّما الشاعر المتنبي. ويرى آخر ليس حريّ بأن يقرأ كتاب الأيام، فيعبّر عن هذا المعنى: أ كتاب الأيام تقرأ؟ وقد يؤلمني وجود الضجة في حجرتي، فأعبّر عن ذلك بعبارة مناسبة، فأقول: لا في الحجرة المجاورة ضجة.

ففي هذه الأمثلة مادة الكلام واحدة لم تتغير، وإنما الذي تغيّر هو الصورة؛ صورة هذا الكلام، فلم يكن رغبة في التغيير، ولا حذلقة في القول، وإنما حملنا عليه تغيير المعنى، فإذا تغير المعنى تغيّرت الصورة. فترتيب الألفاظ في النطق، ناشئ عن ترتيب المعاني في النفس، ذلك هو النظم، فهو أن يكون ترتيب الكلام وأنت تنطق به قد صمّم تصميمًا تامًّا؛ ليوافق المعاني التي تريد أن تعبّر عنها.

فعلم المعاني، إذن، هو العلم الذي نؤدي به الكلام حتى يكون مطابقًا لمقتضى الحال من تقديم وتأخير، وحذف وذكر، وفصل ووصل، وتعريف وتنكير، وقصر، وإيجاز، وإطناب. [7]

ب. ميدان علم المعاني ووظيفته:[8]

علم المعاني علم من العلوم البلاغية الثلاثة: – علم المعاني – علم البيان– علم البديع.

ميدان علم المعاني: يتجلّى ميدانه في البناء النحوي للجملة أو الجمل في اللغة الفنية لغة الشّعر والأدب.

أمّا وظيفته، فتتجلّى في الأسلوب الفنّي من حيث بناؤه النّحوي، أي ترتيب عناصره، والعلاقات الخاصة الماثلة بينها في هذا الترتيب والكيفيات أو الأحوال(النحوية) التي تتعاورها:

- من تعريف أو تنكير،
- من ذكر أو حذف،
- من فصل أو وصل،
- من تقييد أو إطلاق،

أو ما إلى ذلك من أحوال وكيفيات ينظر إليها هذا العلم بوصفها تمثيلا لغويا لأدقّ خلجات النفس ومواجيد الشّعور لدى الشّاعر أو الأديب المبدع.

فمصطلح المعاني الوارد في تسمية هذا العلم يراد به المعاني أو الوظائف النحوية والصّرفية؛ فتلك هي التي يدور حولها هذا العلم، ويختصّ بتأملها، والكشف عمّا تشعّه في الأساليب الفنية من أسرار ودلالات.

كان منطلق علم المعاني منطلقًا نحويًّا، والفارق الجوهري بينهما بمفهومه التقليدي:

- علم النحو: يقتصر دوره على تحديد معاني النحو، والتعريف بالمبنى أو المباني الدالة على كل منها، ثم وضع الأسس والمعايير التي تكفل صحة استخدامها فيها.

- علم المعاني: لعلم المعاني دور غير دور النحو، فهو فوقه، حيث سمّي لدى بعض المعاصرين بالنحو العالي، لأنّه يطمح إلى أن تتحقّق التراكيب فوق مستوى الصحة أو الصواب النحوي مستوى الفنية أو الجمال. فهو لا ينظر في معاني النحو إلا من حيث توظيفها، واستثمار طاقاتها في إثراء اللغة الفنية وتكثيف الدلالة فيها.

ت. **ضرورة علم المعاني لعلم النحو**: إنّ علم المعاني لا غنى له عن علم النحو؛ فالصحة النحوية شرط أساسي في كل تركيب فنيًّا كان أم غيرَ فني، أي أن رسالة علم المعاني لا تبدأ إلا بعد أن يكون النحو قد فرغ من أداء رسالته، ولكن على الرغم من ذلك فإن الفارق يظل واضحًا بين تركيب صحيح يرضى عنه النحو فحسب، وتركيب صحيح فنّي لا يرضى علم المعاني به بديلاً.

أنموذج توضيحي: لا بدّ أن نتوقف لتوضيح الزاوية الخاصة بكل علم في نظرتهما إلى التراكيب.

لنقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:131]

ننظر إلى الآية الكريمة من زاوية النحو، ونقتصر على إعرابها، أي: تحديد ما تضمنته من معاني النحو ومبانيه، فنقرر أن فيها أسلوبي الشّرط: الأداة في أولهما غير جازمة(إذا) وفي الثاني جازمة(إنْ)، وأنّ فعل الشّرط في أولهما ماض، وفي الثاني مضارع، وأن جملة مقول القول: (لنا هذه) فيها تقديم للخبر شبه الجملة على المبتدأ، وهكذا.

أمّا إذا نظرنا فيها من زاوية علم المعاني، فلا بدّ أن نتجاوز النطاق النحوي إلى محاولة الوقوف على(المقام) الذي سيقت فيه، والمعنى أو الغرض المراد منها، ثمّ رصد وظيفة المكوّنات النحويّة التي تشكّلت منها – كلّ منها في موضعه – في تصوير هذا المعنى.

الآية الكريمة سيقت لتصوير معاني الجحود والنّكران والغفلة لدى قوم موسى (آل فرعون)، عن طريق إبراز المفارقة بين حالين من أحوالهم:

- حالهم حين شملهم الرّخاء، ويعمّ الخير والخصب ربوعهم، فهم راضون مطمئنون واثقون من أن الخير حقّهم، ونتيجة طبيعية لسعيهم وجدهم في الحياة،

- وحالهم حين ينزل عليهم الجدب، ويعمّ القحط والضيق، فيشتدّ بهم الجزع ويبادرون إلى نسبة ما نزل بهم إلى وجود موسى عليه السلام وأتباعه بينهم، فكأن هؤلاء في زعمهم هم الشؤم الذي غيّر حالهم من نعيم إلى بؤس وشقاء.

ولإبراز تلك المفارقة وردت الآية الكريمة حافلة بما نسميه" التوظيف الفنّي للنحو"، ذلك التوظيف الذي يتفرد علم المعاني – دون علم النحو – بتأمله، وتحليل مزاياه، ورصد ظلاله الدلالية في الأساليب، فهو ينظر في وظائف كل من الظواهر الآتية:

- **التنويع في أداة الشرط:**

جاءت الآية في جانب الحسنة بأداة الشرط(إذا) الدالة على التحقيق لتفيد كثرة تتابع الخيرات على القوم، وهذا تجسيد لما هم

عليه من غفلة وجحود، أمّا في جانب السيئة فقد جاءت أداة الشرط (إنْ) الدالة على الشك لتفيد أن ما يجزعون له كل هذا الجزع ليس إلاّ أمرًا نادر الوقوع.

- **التنويع في صيغة الشرط:**

وهو تنويع يتلاءم مع التنويع السابق وبتآزر معه في دلالته، فقد جاء فعل الشرط في جانب الحسنة بصيغة الماضي الدالة:(على تحقيق وقوع الحدث)، وجاء في جانب السيئة بصيغة المضارع الدالة:(على احتمال هذا الوقوع).

- **ظاهرة التعريف والتنكير:**

فتعريف الحسنة (واللام فيها للعهد) يفيد كثرة النعم والخيرات عليهم، وعلى الرغم من ذلك جحدوا فضل المنعم، أمّا تنكير(سيئة) يفيد أنها أمر طارئ لا عهد لهم به، ومع ذلك فهم يبادرون إلى التنصل منها، والادعاء– سفاهة وجهلا– أنّها من شؤم موسى وتابعيه، ناسين أو متناسين أن مقام هؤلاء بينهم ليس مقصورًا على وقت السيئة فحسب.

- **ظاهرة التقديم والتأخير:**

وهي الماثلة في تقديم الخبر (المسند) على المبتدأ (المسند إليه) في قوله تعالى: (لنا هذه) وهي ظاهرة تتناغم مع غيرها من الظواهر في هذا السياق، فهي تجسّد روح الأثرة وتضخّم الإحساس بالذات عند هؤلاء القوم الضالين الذين يزعمون أن لا فضل لأحد عليهم فيما يرفلون فيه من نعم، فهم الجالبون لها.

- **المزاوجة في ظاهرة التعريف بين العلمية واسم الموصول:**

فالأول يتمثل في التصريح باسم سيدنا موسى، أمّا الثاني يتمثل في التعبير عن أتباعه لا بأسمائهم بل باسم الموصول (ومَنْ مَعَهُ)، ولهذا دلالته على أن كراهية هؤلاء القوم لسيدنا موسى قد تأصلت في نفوسهم، إلى الحد الذي جعلهم يتصورون أنه سبب الشؤم عليهم، أمّا كراهيتهم لأتباعه، فلا تتعلق بذواتهم بل بمجرد إتباعهم إياه، أي لأنهم (معه).

تلك الظواهر وغير ها من ظواهر الأداء النحوي هي ميدان علم المعاني، وقد اتضح لنا من تحليل الآية الكريمة أن غايته من تناوله لتلك الظواهر هي استشفاف إيحاءاتها ووظائفها التعبيرية،

وإبراز القيمة الفنية لاختيار كل ظاهرة منها في موقعها الخاص بها في السّياق.

فإذا كان ميدان البحث في علم المعاني هو البناء النحوي للجملة، فإنّ المعيار الذي حدّده البلاغيون لقياس فنية ذلك البناء هو مطابقته لما أسموه (مقتضى الحال).

ث. المعيار الفني لعلم المعاني (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)[9]

فكرة(مطابقة الكلام لمقتضى الحال) هي فكرة جوهرية كان لها أثر بالغ في توجيه البحث البلاغي وتحديدِ مساراته، وقد بلغ الاهتمامُ بالمطابقة في تراثنا البلاغي حتى عُدّت غايةُ البحث في علمي المعاني والبيان، حيث عُرّفَ علمُ المعاني بأنّه علمٌ يُعرفُ به أحوالُ اللفظِ العربي التي بها يطابقُ مقتضى الحال، وعُرّفَ علمُ البيان بأنّه معرفةُ إيرادِ المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ليحترزَ بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه، بل لقد عُرّفتْ بها البلاغةُ كلُّها حيث قيلَ إنها" مطابقةُ الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

ولا بدّ أن نحدّد مدلولَ مصطلحي (الحال) و(مقتضى الحال) كي نصل إلى تصوّر مفهوم تلك المطابقة ووظيفتها – في نظر

البلاغيين– في مباحث البلاغة العامة، ومباحث علم المعاني خاصة.

فمصطلح(الحال) يرادف في أغلب استعمالاته لدى البلاغيين مصطلحًا آخر هو (المقام)، فكلا المصطلحين يقصد بهما مجموعة الاعتبارات والظروف أو الملابسات التي تصاحب النشاط اللغوي، وقد ترددت في تراثنا العربي العبارة الذائعة (لكل مقام مقال).

لقد عُرّفَتِ الحال في تراثنا البلاغي بأنها الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يميّز كلامه بميزة تعبيرية خاصة، أي أن الأحوال أو المقامات هي مجموعة المؤشرات (غير اللغوية) التي تؤثر في لغة الكلام البليغ حيث تترك فيه ظواهر تعبيرية تتنوع بتنوعها، والحال بهذا المفهوم تشمل أمورا كثيرة منها:

- ✓ **أحوال المخاطب:**

فذكاء المخاطب أو غباؤه، وتردّده أو إنكاره، وطبقته الاجتماعية، وطبيعة ثقافته، وميوله وآراؤه المذهبية، وعلاقته بالمتكلم أو بموضوع الكلام، وما إلى ذلك – كلها أحوال أو مقامات يتنوع الكلام بتنوعها، بل إن بلاغة الكلام لا تتمثل إلا في مطابقته لها. وهذا قرّره بشر بن المعتمر في صحيفته، قال: (ينبغي أن

تعرف أقدار المعاني، فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين وبين أقدار الحالات، فتجعل لكل طبقة كلامًا)، وهذا ما صرّح به السكاكي حيث قال: ومقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر

✓ **طبيعة المعنى أو الغرض:**

فلكل غرض ما يلائمه من صور وما يليق به من أشكال تعبيرية لا تليق بسواه، قال القاضي الجرجاني وهو يوصي شاعرًا بضرورة المشاكلة بين التعبير والغرض، فرفض أن يكون إجراء شعره كله مجرى واحدًا، ورفض أن يذهب بجميعه مذهب بعضه، بل أرى له أن يقسم الألفاظ على رتب المعاني فلا يكون غزله كافتخاره، ولا مديحه كوعيده، ولا هجاؤه كاستبطائه ...بل دعاه إلى ترتيبه، وإيفائه حقّه، فيتلطف إذا تغزل، ويتفخم إذا افتخر، ويتصرف للمديح تصرف مواقعه.

✓ **مجموعة الظروف والاعتبارات الخارجية الداعية إلى الكلام أو المصاحبة له:**

من ذلك المناسبة التي قيلت فيها القصيدة، وسبب نزول الآية الكريمة، والبيئة الزمانية والمكانية للنص، أو ما إلى ذلك من

اعتبارات لا يمكن إغفال أثرها في الكلام، أو ضرورة الوقوف عليها عند فهمه وتذوقه.

✓ **أحوال المتكلم:**

حال المتكلم هي المرد الأول للمطابقة، فالأحوال الثلاث السابقة هي بمثابة الواقع الخارجي للتجربة، ذلك الواقع الذي لا يكون العمل الفني رصدًا آليًّا مباشرًا له، بل تصويرًا فنيًّا لرؤية المبدع له، وانفعاله الخاص به، وموقفه المتفرد منه، (رغم إغفال البلاغيين جانب المتكلم وأحواله عند رصد مطابقة الكلام البليغ، وتركيزهم اللافت على أحوال المخاطب.)

وإذا كانت الحال – حسب التعريف السابق – هي الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يميّز كلامه بخصوصية تعبيرية ما، فإنّ تلك الخصوصية هي ما اصطلحوا على تسميتها (مقتضى الحال)، ويقصد بالخصوصية التعبيرية ظاهرة الأداء النحوي كالتقديم أو التأخير، والذكر أو الحذف، والتعريف أو التنكير، وما إلى ذلك من ظواهر يختص علم المعاني ببحثها –كما أسلفنا القول – باعتبارها مقتضيات تتنوّع بتنوّع الأحوال والمقامات، ويكون لها أثر في حسن الكلام وبلاغته.

فما وظيفة المقام عند تذوق النصوص وتحليل ظواهرها الفنية؟

يعدّ المقام الضوء الكاشف الذي لا بدّ من استصحابه عند الدخول على النص، فالتعرف على مقام العمل الأدبي والوقوف عليه هو خطوة ضرورية ينبغي أن تسبق محاولة الوقوف على معناه واستشفاف دلالته الفنية؛ ففي غيبة المقام يُسْتبهمُ النص ويُستغلق معناه، ويصبح تفسيره نوعًا من الحدْس والضرب على غير هدى، فكما أن للمعنى في العمل الأدبي علاقته العضوية بالمقال أي بالعبارات أو الأشكال اللغوية التي تجسده وتطابقه بألفاظه الخاصة في نسقها الخاص، فالمقال والمقام هما بمثابة قطبين يكتنفان المعنى بحيث لا يتضح أو يُتذوق إلا في ضوئهما وعن طريق الاستئناس بقرائنهما(المقالية والمقامية) معًا.

ولتوضيح وظيفة المقام نورد مثالين: أولهما دوره في تحديد المعنى وتوجيهه، وثانيهما أثره في تحليل قيمة الظواهر التعبيرية في الأسلوب الفنّي.

المثال الأول:

يذكر البلاغيون أن معنى الأمر في قوله تعالى: ﴿..**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [فصلت: 40] هو التهديد وبالتأمل

نجد أن هذا المعنى لا يستشف من أسلوب الأمر وحده؛ لأن هذا الأسلوب في حدّ ذاته لا يفيد سوى« المعنى الحرفي» غير المراد، وهو أن الله يطلب من هؤلاء المخاطبين أن يفعلوا ما يشاءون، أما معنى التهديد: فهو ما يفيده ذلك الأسلوب في ضوء مقامه الخاص، وهو ما يتحدّد عن طريق تأمل السّياق القرآني الذي ورد فيه، فهذا الأسلوب قد ورد في سياق الآية التي تصف هؤلاء الذين انطوت نفوسهم على الحقد والضغينة ومقت الإسلام، فادفعوا يحرفون آيات القرآن، ويزيفون في تأويلها بخبث وسوء نية، فالآية تقول:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [فصلت: 40]

فهي تصف هؤلاء بالضلال والإلحاد في تأويل آيات الله، وهو يصف موحٍ بالعاقبة الوخيمة التي تنتظرهم من الحق سبحانه وتعالى، فإلحادهم ظاهر مكشوف؛ لأنه في آيات من لا تخفى عليه خافية، ففي قوله عز وجل(لا يَخْفَونَ علينا) تعنيف لهم وتهديد وتلويح بسوء العاقبة، ثم تأتي المقابلة(الواردة بأسلوب الاستفهام) بين صورتين من صور يوم القيامة: صورة الملحدين في آيات الله

وما ينتظرهم من طرح في جهنم حيث العذاب الأبدي – وصورة المؤمنين بتلك الآيات حيث تتلقاهم الملائكة بالحفاوة وتبشرهم بالأمن والطمأنينة والنعيم – تأتي تلك المقابلة حاملة في طياتها هؤلاء الملحدين نذر العذاب وسوء المصير، ثمّ يأتي الأمر في النهاية (اعملوا ما شئتم) متساوقًا مع تلك المعاني المستفادة من السياق ومؤكدًا إياها، فمن البديهي أن ربّ العزّة لا يأمر هؤلاء بعمل ما تشاؤه نفوسهم؛ لأن نفوسًا انطوت على الشرّ لا تشاء إلاّ شرًّا، ولكنه يهددهم بأن لهذه الأعمال السيئة مغبتها، فهو (عز وجل) بما يعملون بصير.

والدليل على ما نقرره من أن المعنى المستفاد من الأمر ليس راجعًا إلى صيغته في حدّ ذاتها، بل إلى السياق أو المقام الذي وردت فيه: أن العبارة السابقة (اعملوا ما شئتم) قد وردت نفسها على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فأفادت معنى آخر لاختلاف المقام الذي وردت فيه، وذلك حيث يقول(ص): (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).

فعبارة الرسول(ص) قد وردت في سياق حديثه عن أهل بدر، هؤلاء الأبطال الذين حقّق الله على أيديهم أول نصر لقوة الإسلام

على جحافل الكفر، فهي تدلّ– في هذا السياق– على بثّ الطّمأنينة في نفوس هؤلاء وتبشيرهم بالفوز بمغفرة الله ورضوانه.

المثال الثاني:

يقول الله عز وجل في سورة الأنعام: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ..﴾ [الأنعام:151]ن، ويقول جل شانه في سورة الإسراء في الغرض ذاته: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً﴾ [الإسراء:31] وبتأمل الآيتين أن بهما من ظواهر الأداء النحوي التي يختص علم المعاني ببحثها وتحليل القيمة الفنية لها، وتلك هي ظاهرة التقديم والتأخير، فبينما قدم في الآية الأولى ضمير المخاطبين على ضمير الأولاد ﴿ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ..﴾ قدم في الثانية ضمير الأولاد على ضمير المخاطبين ﴿ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾.

وتحليل تلك الظاهرة في الآيتين لا يتمّ إلاّ في ضوء الوعي باختلاف المقام (لتغير أحد عناصره وهو المخاطب) في كلّ منها عن الأخرى؛ فالخطاب في الآية الأولى موجّه إلى الآباء الفقراء بدليل قوله جل شأنه: ﴿مِنْ إِمْلاقٍ﴾ أمّا في الثانية فهو موجّه إلى

الآباء الأغنياء الذين يقدمون على قتل أولادهم لا عن فقر يجدونه، بل عن توقّع لهذا الفقر بسبب الأولاد.

إنّنا في ضوء هذا الوعي باختلاف المقام في الآيتين نستطيع تفسير ظاهرة التقديم والتأخير، واستجلاء وظيفتها الفنية في كل منهما؛ إذ يمكننا – حينئذ – القول بأن التقديم لما يزيل سبب القتل، ويقضي على الدافع إليه، ففي الآية الأولى، كان دافع الآباء إلى القتل هو ما هم فيه من فقر، ومن ثمّ كان التعجيل بالوعد برزقهم أوّلاً؛ لأنّ في رزقهم وإغنائهم ما هو كفيل بالقضاء على هذا الدافع لديهم. أمّا في الآية الثّانية فإنّ الدافع إلى القتل هو خشية الفقر بسبب الأولاد، ومن ثمّ جاء الوعد برزق الأولاد قبل الوعد برزقهم، فكأنّ الآية تطمئن هؤلاء إلى أنّ الفقر الذي تخشون وقوعه بسبب هؤلاء الأولاد لن يقع؛ لأن الله الذي خلقهم سيرزقهم، فرزقهم عليه لا عليكم، ومن واسع فضله لا ممّا تخشون نقصانه من مالكم، بل إن مالكم سيزيد، ورزقكم سيكثر بسبب هؤلاء الأولاد.

بقي أن نسأل: إلى أيّ حدّ نجح البلاغيون في نظرتهم إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال في ميدان علم المعاني؟ لعلّ من الجدير بالذكر في هذا الصدد أن إلحاح البلاغيين على فكرة المقام

واتخاذهم من مراعاتها محورًا يدور حوله البحث البلاغي لديهم إنّما يعدّ وعيًّا بفكرة صائبة ما تزال كثير من الدراسات الحديثة – على اختلاف انتماءاتها – تؤكّد صوابها، ففكرة المقام هي أساس ما يسمّى (علم الدلالة الوصفي) في ميدان الدراسات اللغوية المعاصرة، وهي كذلك المحور الجوهري لما يسمّى (نظرية الاتصال في ميدان الدراسات الإعلامية، أجل إن تلك الدراسات المعاصرة قد طوّعت الفكرة لمناهج بحث واستهدفت بها غايات لم تدر بخلد البلاغيين، ولكن يبقى بعد ذلك أنّ وعيهم بتلك الفكرة في تلك الحقبة المبكرة من تاريخ الفكر الإنساني هو ممّا يحسب لهم ويضاف إلى رصيدهم.

بيد أنّه على الرغم من سبق هؤلاء البلاغيين إلى الوعي بتلك الفكرة، فإنها لم تؤت ثمارها المرجوة على أيديهم؛ إذ إن نظراتهم فيها وتطبيقاتهم عليها قد شابتها بعض الشوائب التي أضرت بها وأذبلت عودها، من تلك الشوائب:

1. التركيز على جانب المخاطب –فحسب – عند رصد المطابقة.

2. النظرة الجزئية إلى المطابقة؛ إذ لم تتجاوز تلك النظرة نطاق الجملة الواحدة أو– في كثير من الأحيان– الظاهرة التعبيرية الواحدة، أي أنها لم تتسع لتشمل العمل الفني كله بوصفه بناءً لغويًّا أو مقالاً خاصًّا تتآزر عناصره وتتكامل في تجسيد مقام خاص.

3. النزعة التقنينية: تلك التي سادت البحث البلاغي لا سيما في عصوره المتأخرة، والتي نجد آثارها واضحة في تقنين ظواهر الأداء من ذكر وحذف وتعريف وتنكير..تارة بحسب الأغراض وتارة أخرى بحسب المقامات.

الهوامش:

(1)– الجاحظ،، البيان والتبيين،(ج1 ص115)

(2)– الرماني، الخطابي، عبد القاهر الجرجاني،ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف القاهرة، ط1976 3، ص76

(3) – الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، ص42.

(4)– بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات،دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، ط1، 2008، ص27.

(5)– بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، ص30.

(6) – بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، ص31.

(7) – ينظر: فضل حسن عباس، أساليب البيان،دار النفائس، عمان، الأردن، ط2، 2009، ص ص: 27 –29.

(8)– ينظر: حسن طبل، علم المعاني في الموروث البلاغي، تأصيل وتقييم، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط2، 2004، ص ص: 8 –11.

(9)– ينظر: حسن طبل، علم المعاني، ص ص: 12–16.

المحاضرة الخامسة أثر لسانيات دي سوسير وأبعادها

إرهاصات علم اللغة قبل دي سوسير:[i]

تأثر اللغويون بمناهج علماء القرنين السابقين عليهم، حيث اقتدوا بهم في إتباع المنهج المقارن، مثال **فرانز بوب (Franz Bopp)**، [1791 م– 1867م]، مؤسس النحو المقارن، و**يعقوب غريم (Jacob Grimm)**[1785– 1863م]، كما أنّ النحاة الجدد وفي مقدمتهم هرمان باول **(Hermann Paul)** الذي دعا إلى المنهج التاريخي لكونه الأقدر على تحقيق نتائج علمية مبهرة. وفي هذا الخضم لا ننسى جان بدوان دي كورتيني(**Jan Baudouin de Courtenay)** و ويليام ويتني **(William Whitney) اللذان أسهما في اللسانيات قبل دي سوسير، وقد كان هناك إجحاف في حقّهما.**

تأثر دي سوسير من قريب بأفكار **جان بدوان دي كورتيني البولندي** الذي أسهم بشكل حاسم في تشكيل الجداول التصريفية للنحاة الجدد(النماذج) مع حجري الزاوية القانون الصوتي والقياس. عاد إلى روسيا وحاضر في اللسانيات العامة والنحو المقارن بدءا من سنة1871، وقد جمعت بينهما صلة، حيث تبنى أفكاره في نظريته (أي دي سوسير)، توفي عام1926م.

وثمة لغوي آخر تأثرت نظرية دي سوسير اللغوية به، وهو ويليام ويتني الأمريكي عالم الدراسات الهندو–أوروبية، فقد كانت أوجه التقارب الفكري واضحة بينهما، خاصة في فهم اللغة على أنها نظام علامات، والعلاقة بين الفرد والجماعة، وبين اللغة والفكر، كما أن دي سوسير ذكره في دروسه في ثلاثة مواضع.

أفكار فرديناند دي سوسير اللسانية:

1)التمييز بين بعدين مهمين في اللغة؛ أولا، الدراسة التزامنية (Synchronic)– الوصفية – التي تعالج فيها اللغات بوصفها أنظمة اتصال تامة في ذاتها في أي زمن بعيد، وثانيًّا، الدراسة التعاقبية (Diachronic) –التاريخية – التي تعالج فيها تاريخيًّا عوامل التغيير التي تخضع لها اللغات في مسيرة الزمن.

فالدراسة الأولى هي الأصوب والأجدر في رأي دي سوسير، لأن من خلالها يمكن الوصول إلى القوانين التي تحكم اللغة وتفسر بنيتها الداخلية والخارجية.

2) التفريق بين الكلام واللغة، فالكلام هو المقدرة اللغوية للمتكلم، واللغة بوصفها ظواهر واقعية اجتماعية مغروسة في الإنسان الذي تأثر ببيئة تربّى فيها، وهذه الفكرة استمدها من

دوركايم، ويرى أنّ كل تغيّر في اللغة يرجع أساسًا لتغيرات الأفراد في كلامهم.

فإذا كانت الجملة تنتمي إلى اللغة، لأن الجملة هي ما ينشأ عن تجريد طائفة من القولات المتشابهة إلى الحد الذي يسمح بالحكم بانتمائها إلى نمط تركيبي واحد. فالقولة تنتمي إلى الكلام، وهي التركيب المفيد الذي ينطقه المتكلم بالفعل في سياق معيّن، في زمن معيّن، وفي مكان معيّن.

ويجمل دي سوسير السمات المميزة للغة معيّنة في نقاط أربع:

- اللغة المعينة جزء اجتماعي من الكلام الإنساني ولا يمكن للفرد أن يخلقها ولا أن يغيرها لنفسه وحده؛ فهي مستقلة عنه، ناشئة من اتفاق جماعي.
- اللغة المعيّنة يمكن أن تبحث مستقلة عن الكلام، كالبحث في اللغات الميتة التي لم تعد يُتحدّث بها، ولكنها تُبحث وتُعلّم.
- اللغة المعيّنة حسب طبيعتها متجانسة في ذاتها، نظام من العلامات.
- تحديد كل ما يتعلق باللغة، وأداة ذلك الكتابة.

3) توضيح دي سوسير أن اللغة تتكون من مجموعة من العلاقات المتداخلة يجعلها كشبكة لا يمكن فصل أحد عناصرها عن الآخر، وهذه العلاقات إمّا أن تكون أفقية (Syntagmatic)، وإمّا أن تكون رأسية (Paradigmatic)، فالعلاقات الأفقية هي تتابع المنطوق في سلسلة كلامية واحدة، أي التتابع حسب العلاقات التركيبية للجملة،علاقة الفعل بالفاعل، والمفعول به والظرف. كأن يقال (ذاكر الطالب درس النحو في المساء). والعلاقات الرأسية أو الاستبدالية هي العناصر التي يمكن أن يحلّ بعضها محلّ بعض راسيًّا في التركيب، كأن يستبدل الفعل بفعل آخر، (راجع–حفظ)، ويستبدل الطالب بالفتى، ومحمد، (ذاكر الفتى، ذاكر محمد).

4) اللغة عند دي سوسير نسق من العلامات، والعلامة هي اتحاد بين شكل يعرف بـ(الدال)، وفكرة محددة تعرف بـ(المدلول)، وهما معًا يكونان عنصرًا واحدًا هو العلامة، فالعلامة هي الوحدة المحورية في اللغة، والعلاقة بين الدال والمدلول غير منتظمة أو عشوائية أو اعتباطية.

5) نظر دي سوسير إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية، إلا أنها تستمدّ من كل فرد يكون خاضعًا لها في المجتمع.

أهمية نظرية دي سوسير:

كشفت نظرية دي سوسير عن أسس المنهج الوصفي وهي أسس عامة تتوزعها أفكار تنظيمية للمنهج، وقواعد عملية في التحليل، منها:

1.ينبغي لأي لغة أن يبدأ الوصف فيها من الصورة المنطوقة إلى الصورة المكتوبة، كون اللغة لها وجهان: وجه الكلام ووجه الكتابة.

2. للمنهج الوصفي طرق ثلاثة متكاملة في تحليل الظاهرة اللغوية، وهي:

- استقراء الظاهرة (المادة اللغوية) مشافهة،
- تقسيم الظاهرة اللغوية وتسمية كل قسم منها
- وضع المصطلحات الدالة على هذه الأقسام لتصل بعد ذلك إلى وضع القواعد الكلية والجزئية التي نتجت عن الاستقراء.

حسب آراء علماء اللغة الذين لاحظوا قصورًا وعجزًا في النظرية اللغوية لدي سوسير، نتعرض لأهمها:

- نظّر دي سوسير في بناء النظام اللغوي، لكنه لم يجرِ أي تحليل لنظام لغوي محدّد.

- نظّر في النظام اللغوي منعزلا، ليس فقط عن كل الصلات بحامل اللغة، صاحبها، بل أيضًا دون مقارنة بأنظمة لغوية أخرى، أي دون جعل المقارنة اللغوية موضوعًا. ومع ذلك فكلا الأمرين لم يكونا متعمدين أيضًا، فربما كان الأمر مختصًا بتطبيق النظرية، وليس بالنظرية ذاتها؛ ومن ثمّ يحكم بعدم التقليل من كفاءة نظرية دي سوسير اللغوية.

- وقد قامت المدارس اللاحقة بردود فعل متباينة على هذه النقطة؛ فقد درستها من الناحية النظرية فقط (مثل الجلوسماتية) أو عنيت كذلك بتطبيقات النظرية (مثل حلقة براغ) أو حتى وضعت التطبيقات في الصدارة (مثل الوصفية الأمريكية).

- **اللسانيات الأوربية (البنيوية الأوربية):**

اللسانيات الأوربية ثلاث مدارس، هي:

1. **المدرسة السويسرية:** (مدرسة جنيف) أو (البنيوية التقليدية)، يمثّلها دي سوسير وأتباعه شارل بالي (Charles Bally)، وألبير سيشهاي (**Albert Sechehaye**)، وهما اللذان جمعا ونشرا دروس أستاذهما دي سوسسير "محاضرات في اللسانيات

العامة"، ولهما أبحاث ذات صبغة خاصة، كما نجد من أتباعه هنري فراي (**Henri Frey**)، وروبرت كوديل(**Robert Godel**).

فهذه المدرسة تفرّق بين نوعين من الدراسة اللغوية، وتقوم على الأسس التي ذكرناها سابقًا.

2.المدرسة الوظيفية:(مدرسة براغ)

تأسست بمبادرة ويليام ماثيوس(William Mathesius) سنة1962، ومن أعضائها البارزين رومان جاكبسون(Roman Jakobson)،وكارجفسكي(Karczewski)،وتروبتسكي(**ikolaï Troubetzkoï**). وقد استفادت هذه المدرسة من آراء دي سوسير بقدر ما استغلت منطلقاتها النظرية في أعمالها، وكوّنت لنفسها نظرية لغوية. على أنّها لم تحدّد منهجها إلا بالانطلاق من تحديد للغة باعتبارها نظامًا وظيفيًّا يرمي إلى تمكين الإنسان من التّعبير والتّواصل.[2]

3. مدرسة كوبنهاغن:(المدرسة الغلوسيمية)

أبدع هلمسليف هذه النظرية التي تتوافق مع تعليمات دي سوسسير، فعرفت بالسوسيرية المحدثة، وهي ترى أن اللغة هدف لذاتها وليست وسيلة، وبهذا انتقدت ما سبقها من مدارس لسانية،

التي ترتكز على معطيات خارجة عن اللغة. محاولة في ذلك أن تنشئ بناءً منطقيًّا رياضيًّا، يستند إلى جهاز من التعريفات والمصطلحات، وقد أضفى عليها هذا التصوّر الجديد للغة ضربًا من الصعوبة، لذا لم تنتشر كانتشار مدرستي جنيف وبراغ.[3]

4. المدرسة الإنجليزية:(المدرسة السياقية)

يعدّ جون فيرث أو ل من أسس اللسانيات في بريطانيا وجعلها علما معترفا به. وقد انصبّ على دراسة الصوتيات الوظيفية وعلم الدلالة أو ما يعرف بالنظرية السياقية التي تنظر إلى المعنى على أنه وظيفة في سياق. ويعدّ هذا العمل نقلة إبستمولوجية أنطولوجية كبيرة في اللسانيات، لأنها دعمت الموقف السلوكي في ذهابه إلى صعوبة البحث الدلالي المعتمد على المنطق، والتصورات الوجودية التي كانت سائدة في الفلسفة اليونانية.[4)]، وقد مسّت نظريته البحث اللساني عامة، وتفسير المعنى خاصة.

تسعى اللسانيات البنيوية إلى أن تضع نظرية لدراسة النص المنجز بعد إنهائه وتغلق باب تراكيبه باستعمال منهج تحليلي (بنيوي) يقوم على شكل النص (أي صورته الخارجية)، وبهذا تطرح البنيوية مبدأ الحضور والشهادة يعني الوجود في النص.

فمدرسة براغ تهتم بدراسة علاقة المتكلم بكلامه يعني وظيفة الكلام وكيفية التعبير عنها. أما أتباع دي سوسير (كـ(شارل بالي) خاصة فيقترحون لسانيات تنطلق من اللفظ (يعني القول) وهي ذات أهمية وترفض اللسانيات التي تنظر إلى اللغة وحدها. ونجد بلومفيلد (المدرسة التوزيعية الأمريكية) –بالعكس– يرى أنه مستحيل تحديد المعنى وعلاقة صاحب النص بالكون الواقعي.

وهكذا يتعين دراسة نظام اللغة كما يجري في لحظة من اللحظات عند مطابقتها الحال، وهي دراسة آنية، لآن الدراسة الزمنية(التاريخية) تبدو منافية مع دراسة اللغة كنظام.[5]

المدارس اللسانية الأمريكية:

- **المدرسة الاجتماعية (إدوارد سابير)**

يرى إدوارد سابير أن اللغة ما هي إلا عمل اجتماعي تواصلي، وإنتاج تاريخي، فهي أيضًا تمثيل للتجربة الواقعية، فهو يشكّل بذلك تصوّرًا بنيويًّا للغة وذلك من حيث إنها بنية، فهي تؤسس قالبا للفكر.

ويتصور أن اللغة وقعت في فخّ المحتوى الثقافي، ويؤمن بأن الدراسة العملية للغة لا يمكن فصلها عن علم الإنسان ولا عن

علم النفس. وأنها في الأساس كانت وسيلة تؤدي أغراضًا بسيطة لا ترتقي إلى المفاهيم المجردة وأن هذه المفاهيم ارتقت وتوسعت مدلولاتها في الواقع كتفسيرات منتقاة للمحتوى الأصلي.(6)

- **المدرسة التوزيعية (بلومفيلد وهاريس)**

حمل لواء هذه المدرسة ليونار بلومفيلد وزيليخ هاريس، وقد ارتبطت بالنزعة السلوكية(Behaviorisme) التي انتشرت في الولايات الأمريكية المتحدة سنة1920، وهي تمثّل مذهبًا سلوكيًّا يدرس نفسية الأشخاص من خلال سلوكهم الخارجي، ويعتبر أن هذا السلوك مرآة للنفس الإنسانية، وأنّه مؤسس على قاعدة(مثير/استجابة) أو (دوافع/ردود أفعال).(7)

- **المدرسة التوليدية (تشومسكي وتلاميذه)**

سار هاريس باللسانيات التوزيعية إلى أقصى مداها، لكن تليمذه تشومسكي بعد أن اهتم بصورنة(بالمعنى المنطقي الرياضي) المفاهيم الأساسية في النظرية التوزيعية، طرح مفهومًا جديدًا في اللسانيات، يتعارض مع أسس التوزيعية، عرف بالتوليدية، وهي مجموعة من النظريات اللسانية التي طوّرها تشومسكي وأتباعه منذ

الخمسينيات، وامتد تأثيرها ليشمل – حقل اللسانيات – مجالات أخرى كالفلسفة وعلم النفس.[8]

لسانيات ما بعد البنيوية:

- **التداولية:**[9]

شهدت اللسانيات تطوّرًا كبيرا بعدما نشر كتاب محاضرات في اللسانيات العامة لدي سوسير في1916، فنشأت مدارس بنيوية، تولّدت عنها تيّارات ومناهج متعدّدة اهتمّت كلّ منها بتحليل اللغة والكشف عن أسرارها ومكوّناتها.

ويتّضح اهتزاز أركان اللسانيات البنيوية وأزمتها ممّا وجّه ناعوم تشومسكي من نقد لاذع لها بعد إهمالها أثناء التحليل للمرجع والسياق والعوامل الخارجية المؤثّرة في العملية الكلامية والتواصلية القائمة بين المرسل والمتلقي.

فمعروف أن استخدام اللغة يحقّق التفاعل والنشاط المستمرين بين المتخاطبين باعتبارها أداة تبليغ وتعبير من جهة، ووسيلة تواصل يومي من جهة أخرى.

وأصبحت كيفية التواصل من اهتمام تيار من الدراسات والنظريات يطلق عليه الدارسون مصطلح (التداولية) يرتكز على

منطلقات وظيفية اللغة، ويولي عناية كبيرة للغة الحياة اليومية على اختلاف مستوياتها.

فالتداولية لا تمثّل نظرية بعينها بقدر ما تمثّل نقطة لقاء مجموعة من التيارات تشترك في بعض الأفكار الأساسية، فهي تشير إلى المكوّن التركيبي الذي تدرج فيه العلاقات التي تربط الدوال اللغوية بعضها ببعض، في حين أن المكوّن الدلالي يصوّر العلاقات التي توصل هذه الدوال بالواقع، وهو مرجع الدلالات اللغوية.

أمّا المكوّن التداولي فتدرج فيه العلاقات التي تربط تلك الدوال بمستعمليها وبظروف استعمالها وآثار هذا الاستعمال على البنى اللغوية.

ليس هناك تدوالية واحدة وإنما تداوليات متعددة يوحّدها العنصر الشكلي لممارسة سلطة المعرفة في إطار استراتيجيات توجه النقاش والحوار، ما دام ارتباط الحقيقة قائما دائمًا على حركة التواصل وتبليغ المعنى، فلا غرابة أن نصادف تداوليات نحو:

- تداولية البلاغيين الجدد.
- تداولية السيكو –سوسيولوجيين.

- تداولية اللسانيين.
- تداولية المناطقة والفلاسفة.

فالتداولية محددة على العموم كالآتي:

1. مجموع البحوث المنطقية– اللسانية
2. دراسة استعمال اللغة التي تعالج بتكييف التعابير الرمزية بالسياقات الإحالية، المقامية، الحديثة، وما بين الأفراد.
3. دراسة استعمال اللغة في الخطاب والعلامات المميزة للغة التي تشهد على نطقه أو اتجاهه الخطابي.
4. دراسة اللغة كظاهرة من جهة خطابية توصيلية واجتماعية.
5. التداولية هي الجزء من اللسانيات الذي يهتم خاصة باستعمال اللغة في التبليغ أو التواصل.

- **لسانيات النص:**

تعدّ لسانيات النص فرعًا لسانيًّا حديثًا لم يتطوّر إلا في الستينيات من القرن العشرين، وتدلّ عملية التتبع التاريخي للعلم على أنه ربّما يقصد بمصطلح لسانيات النص شيء آخر غير كل اشتغال بالموضوع "النص"، وشكله اللغوي، ومن البدهي أن يندرج

العمل مع النصوص والبحث فيها بوصفها حاملات مادية مهمة لإرث ثقافي ضمن المهام القدم لمعالجة نتاجات العقل الإنسانية. ولما كانت النصوص تُشكَّلُ من اللغة فإن المرء لا يستطيع أن يشتغل بها على الإطلاق أيضا دون أن يُراعى تأليفها اللغوي. وقد مرت بمراحل أساسية ثلاث، هي:

1.مرحلة تجاوز الجملة المركّزة كليّة على الوسائل اللغوية التي تربط بمساعدتها الجمل إلى تتابعات متماسكة.

2.مرحلة التواصلية –التداولية حيث لا يرى إلى حد كبير أن النص تتابعٌ جمليٌّ مبنيٌّ من وحدات لغوية أصغر، بل ينظر إليه بوصفه كلا تُعزى إليه وظيفة تواصلية معيّنة.

3.المرحلة الإدراكية التي تضع عمليات إنتاج النصوص وتلقيها في الصدارة.[10]

الهوامش:

[i] – نادية رمضان النجار، تأريخ الدرس اللغوي قديما وحديثا، مؤسسة حورس الدولية،الإسكندرية، مصر، ط1، 2015، ص ص: 89 – 91.

[2] – ينظر: حسني خاليد، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، منشورات أنفو برانت، فاس، المغرب، ط1، 2015، ص37.

[3]– ينظر : حسني خاليد، مرجع سابق، ص44.

[4] – ينظر: حسني خاليد، مرجع سابق، ص46.

[5] – ينظر: حسني خاليد، مرجع سابق، ص49.

[6] – ينظر: حسني خاليد، مرجع سابق، ص55.

[7] – ينظر: حسني خاليد، مرجع سابق، ص62.

[8]– ينظر: حسني خاليد، مرجع سابق، ص76.

[9] – ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللسانية، أعلامها، مبادؤها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2014، ص ص: 209 – 214.

[10]– كيرستن آدمتسيك، لسانيات النص، عرض تأسيسي، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2009، ص16.

المحاضرة السادسة: التوجهات النصية بعد دي سوسير

2019/11/24

1. الشكلانيون الروس والبحث عن الأدبية

وضع دو سوسير الحجر الأساس للبنيوية بإضافته المنهجية الجليلة التي كان لها أثرها الكبير في إرساء تفكير جديد خاص بالدراسات اللسانية والنقدية؛ وقد أصبحت السيادة للبنية والوصف بعد أن كانت للدراسة التاريخية، فإن الشكلانيين الروس يمثلون الرافد الثاني للبنيوية بعد دوسوسير.

عرفت هذه الحركة انطلاقتها في موسكو سنة1915 بفضل مجموعة من طلبة الدراسات العليا الذين ثاروا على المناهج القديمة التي عرفتها الدراسات اللغوية والنقدية، ثم انظم إليهم بعد ذلك بعام واحد مجموعة أخرى من نقاد الأدب وعلماء اللغة وألفوا جمعية دراسة اللغة الشعرية. وأصبحت تعرف باسم أبوياز Opoieze[ص61] وقد أطلق المناوؤن لهذه الحركة اسم الشكلانيين حطًّا من قيمة اتجاههم وعدم الاعتراف بهم.[صلاح فضل/نظرية البنائية/46]

لقد حاول الشكلانيون الروس تأسيس علم للأدب؛ أي وضع مبادئ مستمدة من الأدب نفسه تكون بمثابة منهجية جديدة تختلف

عن المناهج القديمة التي كانت سائدة من قبل، وتعطي الأهمية الكبرى لدراسة الظواهر الخارجة عن النص.

وقد استدعى توجه الشكلانيين نبذ بعض المسلمات، فالتشديد على الأدب بوصفه واقعة قابلة للبحث العلمي وبوصفه مجموعة من خصائص فن القول أدى إلى نبذ الاتجاهات الفلسفية والنفسية والجمالية في الدراسة، وكذا الأمر بالنسبة للعامل الإيديولوجي.[ص62]

وهذا لا يعني إبعاد العلاقة بين الأدب والحياة،[حسن ناظم/مفاهيم الشعرية/76] وإنما كان بؤرة اهتمام الشكلانيين تتمثل في دراسة المظهر اللساني للشعر، وذلك كان قصدهم؛ لأن معايير البنيوية والجانب الإبداعي برأي جاكبسون يتجليان للقارئ في الخطاب الشعري أكثر منه في الحديث اليومي، ولكن بالرغم من ذلك فإن جهودهم لنم تتوقف عند حدود الشعر وحده، بل توجد لهم دراسات مهمة أخرى في القصة كما هو الشأن لـ"شخلوفيسكي" والرواية لـ"باختين" والحكاية الشعبية لـ"فلاديمير بروب" ونظرية النثر بشكل عام لـ"إنجنباوم" وبهذا يكونون أول من فهم معنى مصطلح الشعريةpoétique بأنه لا ينحصر في الشعر وحده.[ص63]

وقد تميزت أعمال الشكلانيين الروس بكونهم قد أعطوا أهمية كبيرة للتصنيف والنمذجة والوصف الدقيق المفصل للأعمال الأدبية ووضع المصطلح التقني المعبر عن ذلك. [أحمد منور/علم النص/مجلة اللغة والأدب ع12، 1997/12-13]

ونشير إلى أن الطاقة المحركة لدواليب الفكر في حركة الشكلانيين الروس فيما تميزت به بعض الشخصيات العلمية من نظر علمي دقيق وإدراك عميق لمنهج الدراسة الذي كان له تأثير كبير في مسار الدراسات التي جاءت من بعده.

ويمكن أن نذكر هنا رومان جاكبسون رئيس الحلقة اللغوية الروسية،" فقد كان حينئذ مهتما بالدراسات الخاصة بعلم الأجناس السلافية والفنون الشعبية، ولكنه كان شديد الإنصات للنبض العلمي الذي ينبعث من أوربا الغربية خاصة في مجال الدراسات[ص64] اللغوية والفلسفية وأخذ مع رفاقه في بلورة بعض الأفكار المنهجية الهامة عن لغة الشعر وأسلوب دراستها في حوالي عشرين مقالا كانت تكتب وتقرأ وتناقش وتنشر كلها بصفة جماعية، وإن حملت توقيع بعض الأعضاء أحيانًا"[صلاح فضل/نظرية البنائية/46]

وبالرغم من كون رومان ياكبسون ينتمي إلى البنيوية، فإنه لم يغلق على نفسه بل وسّع آفاق بحوثه خارج البنيوية وبخاصة لما انحسرت حركة الشكلانيين الروس بعد قيام الثورة في روسيا وتلاشيها تقريبًا في الثلاثينيات إذا استثنينا أصحاب النزعة الاجتماعية بزعامة باختين؛ فهو من النقاد الإيديولوجيين المتأثرين بالماركسية وقد رأى أن تناول الأعمال الأدبية بالشكل الذي دعا إليه الشكلانيون يعد[ص65] خطأً وقصورًا في التحليل ولا يمكن الفصل بين اللغة والإيديولوجيا.

وبالرغم من هذا التوجه الاجتماعي لـ"باختين" فإنه كان في التحليل يحاول النفاذ إلى البنية الإيديولويجية من خلال البنية اللغوية.

لا تعدّ أعمال "باختين" مرتبطة أساسًا بأعمال الشكلانيين ولكنها قد أثرت كثيرا وما تزال حتى الآن في الدارسين، ولهذا لم يتردد "تودوروف" لما أكّد قائلا:" إن باختين أهم مفكر سوفياتي في مجال العلوم الإنسانية وأكبر منظر للأدب في القرن العشرين"[وائل بركات/مفهومات في بنية النص/57]

لقد ابتدع" باختين" مصطلحا أساسيًّا تميّز به وهو "الحواريّة" في قراءته لـ"دوستوفيسكي" عن[ص66] فعالية الحوار العام، وإن كان تودوروف قد حاول إعادة قراءة دوستوفيسكي لما اكتشف بعض الهنات في قراءة باختين فإنهما؛ أي باختين وتودوروف لم يفصلا البعدين الفلسفي والتقني على الرغم مو وجود قيمة مهيمنة في خطاب دوستوفيسكي الروائي مثل الدعاوي الإيديولوجية التي يتضمنها النص.

لقد حاول باختين تجاوز المحايثة كنسق ميّز الشكلانية الروسية في دراستها للنص، وانتقل بذلك إلى مستوى آخر خاص بالبحث عن العلاقة التي تربط البنية الأدبية ببنيات أخرى، فتوجد تعالقات نصية وطبيعة حواريّة بين النص وصاحبه من ناحية وبين النص والمتلقي والسياق الثقافي العام من ناحية أخرى. لقد أدمج باختين النص داخل التاريخ والمجتمع وتعدّ الفكرة "الحوارية" التي طرحها من البشائر الأولى لبداية اختراق التجريد الذي وسم التصورات الفلسفية والنقدية[ص67] للتاريخ، إذ لا يتمّ ذلك إلاّ بتداخل الذّات في الكتابة وخلق حوار بين النصوص.

ويعدّ هذا تصوّرا منهجيًّا بإمكانه أن يخلق تصالحًا بين النصوص وبين العلاقات غير اللسانية مثل التاريخ والأخلاق والدين..[أحمد يوسف/تعالق النصوص وتهجين الأنواع/مؤتمر تداخل الأنواع الأدبية/مج1/2008/ص89-90]

ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى لوسيان غولدمان الذي يعتبر نشاطه الفلسفي والنقدي امتدادا فكريًّا لأعمال جورج لوكاتش، فقد استطاع غولدمان أن يستوعب أفكار لوكاتش في أبعادها الفلسفية والنقدية وبخاصة أنهما ينتميان إلى الماركسية. كما استثمر فلسفة هيجل لبناء علم[ص68] اجتماع أدبي هدفه تحقيق التماسك بين البنيات الذهنية والإبداع الثقافي من أجل بناء رؤيا للعالم لا تقصي عبقرية المؤلف بوصفه فردًا يمثل شبكة اجتماعية معقّدة لا تختزلها التصورات الرومانسية والتجريبية. وبهذا لم يفقد الأدب صلاته بالتاريخ والمجتمع والثقافة. [محمد نديم خشفة/تأصيل النص، المنهج البنيوي/ص9/وأحمد يوف/القراءة النسقية/ص30]

وقد تميّز غولدمان –كغيره من الدارسين – بمصطلح كان له أثر في الدراسات الأدبية وهو: البنيوية – التكوينية التي تحاول البحث عن العلاقات الموجودة بين الأثر الأدبي وسياقه الاجتماعي

– الاقتصادي الذي سبق تكوينه، "وإن أي فكر أو أثر إبداعي لا يكتسب دلالته الحقيقية إلاّ عند اندماجه في نسق الحياة أو السلوك، زد على ذلك أن لا يكون[ص69] السلوك الذي يوضح الأثر هو غالبا سلوك الكاتب نفسه، بل سلوك الفئة الاجتماعية التي تنتمي إليها بالضرورة"[محمد خشفة/تأصيل النص/10] وبناء على هذا يمكن إدراك التماسك الداخلي للنظام المفهومي للنص وفهمه وتفسيره.

وقد انتمى ياكبسون إلى المدرسة الفونولوجية المسماة بحلقة براغ؛ فقد نشأت يوم دخل: "تروباتسكوي" و"كارسيفيسكي" في هذه الحلقة التي كان قد كوّنها بعض اللغويين التشيك أمثال:" ماتيزيوس" و"ترنكا" و"فاشيك" "ففي سنة 1928 ظهرت الفونولوجية على مسرح النشاط العلمي العالمي بصفة رسمية وحدث ذلك في[ص70] المؤتمر الدولي الأول الذي انعقد في لاهاي" وفيه طرحت آراء هؤلاء الباحثين الروسيين. [الحاج صالح/54/55]

ونشير إلى أن أهمّ ما ميّز مدرسة براغ عن غيرها هو اعتمادها على الوظائف التي تؤديها العناصر اللغوية في عملية التبليغ. وذلك بدءا بالأصوات التي" لا يمكن أن تفهم أو تحدّد أو

تصنّف أو تفسّر إلاّ [ص71] في ضوء المهمات التي تنجزها اللغة.. "[رومان جابسون/ست محاضرات في الصوت والمعنى/ تر:حسن ناظم وعلي حاكم صالح /ص143] من هنا راح جابسكون يبحث عن العناصر اللغوية التي تجعل من النص نصًّا أدبيًّا فأتى بمصطلح "الأدبية" من خلال عبارته المشهورة:" إن موضوع العلم الأدبي ليس الأدب وحده وإنما الأدبية"[حسن ناظم/مفاهيم الشعرية/79]

وقد وافقه في استعمال هذا المصطلح رفيقه برويس اخنباوم المنظّر والمؤرخ لحركة الشكلانيين الروس حيث تحدث عن بعض مبادئ العلم الأدبي والجمالي، ثم عاد جاكبسون بعد مرور أربعين سنة ليستعمل المصطلح نفسه في المقدمة التي كتبها سنة1965م للترجمة الفرنسية لنصوص الشكلانيين الروس حيث عنْوَن مقدمة الكتاب بـ"نحو علم للفن الشعري" وهو تعبير مقصود، بعد أن أصبح مصطلح الشعرية غير مقتصر على دراسة الشعر وحده، وقد فصل القول في هذا جاكبسون نفسه في كتابه "مقالات في اللسانيات العامة. [أحمد منور/علم النص/مجلة اللغة والأدب/ص8-9]

ويجد إلى جانب مفهوم الأدبية عند الشكلانيين الروس مفهوم آخر، وهو مفهوم الشكل[ص73] الذي يتحدد من خلال استعمال خاص لمكوّنات الشكل الأدبي، فقد رفضوا ما كان سائدا في الدراسات الكلاسيكية من أن لكل أثر أدبي ثنائية متقابلة الطرفين؛ أي شكلا ومضمونا..فالشكل والمضمون أو اللفظ والمعنى يكوّنان وحدة عضوية متلاحمة لا يمكن فصلهما.[عبد السلام المسدي/ الأسلوب والأسلوبية/ص172]

وانطلاقا من هذين المفهومين المهيمن في حركة الشكلانيين: مفهوم الأدبية ومفهوم الشكل تمّ حصر الاهتمام في النص باعتباره بنية لغوية خالصة بعيدًا عنة العوامل النفسية والاجتماعية بحجة أن هذه العوامل لا علاقة لها بالنص ولا تدخل في تحقيق أدبيته، "وأن الكلام الأدبي، بل كل كلام، يتركب من مجموعة من العناصر تربط بين كل عناصرها علاقات معينة لا[ص74] وجود للعنصر خارجها ولا وجود للعنصر إلاّ بها ومجموع هذه العلاقات هي الشكل. [المسدي/172–173]

وبناء على هذا أصبح التحليل اللغوي منصبًّا على تحليل البنيات الصوتية والصرفية والنحوية، لأن الدراسة التي ينبغي لها أن

تكون علما في نظر جاكبسون، لا بدّ أن تضع في اهتمامها اللعبة اللغوية التي هي لعبة فنية بالأساس.

نخلص – من هنا – إلى أن اهتمام جاكبسون قد انصبّ على وظائف اللغة وأن مفهوم النص يمكن أن نتلمسه عنده من خلال الوظيفة المهيمنة على باقي الوظائف الأخرى، فهنالك عناصر خاصة بالتبليغ أو التواصل وهي:

المرسل والمرسل إليه والرسالة وقناة التواصل والوضع (code) الذي ينطلق منه كل من المرسل[ص75] والمرسل إليه بما يشمل من لغة وثقافة، وتتولّد عن كلّ عنصر من هذه العناصر وظيفة وتتمثّل هذه الوظائف في:

- الوظيفة المرجعية (référentielle)خاصة بالمقام
- الوظيفية التعبيرية(expressive) خاصة بالمرسل
- الوظيفة الانتباهية(phatique) خاصة بالقناة
- الوظيفة الإفهامية أو المفهومية (conative) خاصة بالمرسل إليه.
- وظيفة اللغة الواصفة أو الشارحة (métalinguistique) خاصة بالوضع.

- الوظيفة الشعرية (poétique)خاصة بالرسالة[ص76]

وتعدّ الوظيفة الشعرية هي الوظيفة الأساسية في الخطاب الأدبي، غير أن باقي الوظائف لا يعني أنها ليست مهمة، وإنما تتفاعل جميعا في تحقيق أدبية أو شعرية الأثر الأدبي.

وخلاصة الحديث؛ إن مفهوم النص عند الشكلانيين الروس لم يتبلور كما ينبغي له بالرغم من اهتمامهم بالشكل ، ولكن ذلك ظلّ على مستوى العناصر الصوتية والصرفية والنحوية في بنية الجملة، وذلك بالرغم من محاولات جاكبسون التي نعدها جزئية ومتميزة من حيث العمق والشمول وربما لم تكتب أية دراسة بعها تركت تأثيرها الواضح على الدراسات الأسلوبية مثل الذي تركته دراسات جاكبسون ومنها : اللسانيات والشعرية التي قدمها في أنديانا عام 1958 فهو أعظم من درسوا شعرية[ص77]القواعد برأي "ليونارد جاكسون" كما كان لمحاضراته "الصوت والمعنى" تأثير كبير في تطور البنيوية الفرنسية، فبفضلها تعرّف كلود ليفي ستراوس على اللسانيات البينوية وقد اعترف هو بنفسه بذلك في المقدمة التي كتبها لهذه المحاضرات ومما جاء فيها قوله:" إن كتابًا لرومان جاكبسون ليس بحاجة إلى مقدمة، ولا أدعي أنني جدير بالشرف

العظيم لكتابتها لولا أن جاكبسون نفسه طلب إلي أن أسهم – هنا – في الإدلاء بشهادتي بوصفي مستمعًا من مستمعيه وبوصفي أحد أتباعه كذلك...وعندما أعيد قراءة محاضرات جاكبسون اليوم أكتشف مرة أخرى ذلك التحفيز الفكري الذي شعرت به قبل أربع وثلاثين سنة، وفي ذلك الوقت لم أكن أعرف أي شيء تقريبا عن اللسانيات، ولم يكن اسم جاكبسون مألوفا لدي"[محاضرات في الصوت والمعنى/مقدمة ليفي ستراوس/ص13].

ملاحظات هامة:

1. المحايثة:المعنى المعاصر للمصطلح هو الذي قدمه كانط، والمحايثة في مقابل المفارقة المبادئ التي ينحصر تطبيقها ضمن حدود التجربة الممكنة "، و"النقد المحايث" هو نقد لفكرة ما او نسق من الأفكار ينطلق من مقدمات الفكرة، أو النسق من الأفكار. والتاريخ المحايث للفلسفة هو تفسير مثالي للفلسفة على أنها عملية تحكمها فحسب قوانينها، وأنها ليست خاضعة لتأثير الاقتصاد والصراع الطبقي والوعي الاجتماعي[1] [الموسوعة الفلسفية/روزنتال/ص459]

2. المؤتمرات:عقدت في هذا الشأن عدة مؤتمرات دولية:

في جنيف 1931/ كوبنهاجن 1936/لم يعقد المؤتمر الخامس (05) بسبب الحربII/باريس(06)1948/لندن(07)1952/ أوسلو (08)1957

/كمبردج (09) في الولايات المتحدة 1962/ بوخاريست(10) 1967/ بولونيا(11) إيطاليا 1972.

3. جاكبسون كان يبحث عن علم خاص بالأدب وبخاصة الشعر، ولكي يوفر لهذا العلم معطياته العليمة راح ينظّر ويؤسس لمنهجه العلمي، فإذا به يؤلف أهمّ الكتب في اللسانيات، فأصبح معروفا في الدرس اللساني أولا، وفي الدرس الأدبي والنقدي ثانيا، وفي معارف أخرى، ثم إنه يعدّ صعب التحديد والتصنيف فلم يرتبط باتجاه محدد أو مدرسة محددة أو بلد محدد، وإنما كان له تأثير واضح في كثير من الدارسين الآخرين.

المحاضرة السابعة التوجهات النصية بعد دي سوسير 2

2 البحث عن نحو للنص في مقابل نحو الجملة

إن الدرس النحوي منذ القديم وقف عند حدود ما يسمّى بالجملة، حيث بيّن مكوّناتها الأساسية التي تسهم في بنائها، وهذا ما دفع بجلّ النظريات والاتجاهات النحوية واللسانية أن تهتمّ بها اهتمامًا شاملا؛ لأنّها تعدّ بنية قارة في الكلام ممّا جعلها محور الاشتغال، وصفًا وتحليلاً.

يختلف اللغويون المحدثون من علماء الغرب في تعريف الجملة، وتتعدد هذه التعريفات فيما بينها. ففي عام1952 اختبر فريز() ما يزيد على مائتي تعريف للجملة على أمل أن يكشف عن أكبرها نفعًا، واكتشف أنه من الأسهل أن نبيّن كيف تبدو الجملة لا أن نذكر ماهيتها، وبناء على ذلك فهي يمكن أن توجد على نحو مستقل، ولا تعتمد على أية وحدة أخرى، ويمكن أن تفسر بدون الرجوع إلى أية قطعة لغوية أخرى. وكان أكثر التعريفات ملاءمة لكلام فريز السابق، ذلك الذي قدمه بلومفيلد عام1933، فالجملة لديه: شكل لغوي مستقل لا يُتضمن طبقًا لأي لون من ألوان التركيب النحوي في أي شكل من الأشكال اللغوية الأكبر.

فلو قلنا: أقبل الصديق الذي قابلته بالأمس.

فهو شكل من الأشكال اللغوية التي لا يتضمنها شكل أكبر، طبقًا للنظرة إلى لون خاص من ألوان التركيب النحوي، وهي في ذلك عكس قابلته بالأمس الذي هو أحد مكوناته، فالأخير شكل لغوي يتضمنه شكل أكبر هو الذي قابلته بالأمس وذلك بمقتضى كونه جزءًا من التركيب النحوي الذي يتبعه هذا الشكل المسمى تركيب الاسم الموصول.

وبالنظر إلى تعريفات الجملة السابقة، نستطيع أن نصوغ تعريفا للجملة، فهي شكل لغوي، مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، لا يتضمنه تركيب نحوي أكبر، وقد يكون هذا الشكل اللغوي كلمة(على السطح) أو أكبر.[1]

فالجملة شكل لغوي، مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، لا يتضمنه تركيب نحوي أكبر، وقد يكون هذا الشكل اللغوي كلمة أو أكثر، ولها أنواع من ناحيتي؛ الشكل والوظيفة، وأن التصنيف الذي يتفق مع الدراسة النصية هو تقسيمها بالنظر إلى الشكل التركيبي، أي

[1] – مصطفى صلاح قطب، ص24–25

جملة صغرى وجملة كبرى، والكبرى صنفت إلى بسيطة ومركبة وتركيبية. والهدف من هذا التقسيم هو الوقوف على حدود الجمل الأصلية في النص، لرصد الروابط بين الجمل في مستوى النص.

ونحو الجملة طراز من التحليل النحوي يقيد معالجته بحدود الجملة أو القول المفيد فائدة يحسن السكوت عليها.. فمعالجته لا تتجاوز الجملة، ويبدأ التحليل النحوي باجتزاء الجمل، وعزلها عن سياقها تقريبًا؛ فيوضح القوانين الضابطة لنظام الجملة من خلال مكوناتها التركيبية ليصير الكلام قيد الضبط. [2]

خصائص الجملة المستقاة من التعريفات السابقة هي:

- التتابع الخطي وفق العلاقات التركيبية والاستدلالية الاستقلالية في المعنى.

[2] ينظر: مصطفى صلاح قطب، علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2014، ص ص: 51-52.

- العلاقة الإسنادية، فهي وحدة تركيبية تؤدي معنى دلاليًّا واحدا، أما استقلالها فكرة نسبية تحكمها علاقات الارتباط والربط، والانفصال في السياق.[3]

وقد ميز الباحثون بين نوعين من الجمل:

فرضية التوسع

تمّ التغلب على الدراسة النحوية التي تعتمد على الجملة في إطار فرضية التوسع في النصوص عامة، بأنها وحدات أعم من الجملة. وممّن مهد الطريق إلى هذا التصور في علم اللغة الروسي هو بشكوفسكي (pěskovskij) [انظر بحث جيندين 1972Gindin م]، وفي الدراسات اللغوية الألمانية بوست (K.Boost)[1949م]. في ذلك لم يغير أساس التصور النظري، بل وضع فقط مجال القواعد. وانطلاقا من الفرضية التي مفادها إن النصوص مبدئيًّا لها الخواص نفسها التي للجمل، فإن كليات النص نتيجة لذلك توصف بالمناهج نفسها التي توصف بها الجمل مفردة، وعلى أساس من الأنواع نفسها التي للجمل المفردة. لذلك كان نحو النص (كان يطلق عليه

[3] – عبد القادر البار، جدوى الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن مجلة الأثر، جامعة ورقلة، ع28– جوان2017، ص136.

في تلك السنوات أيضا في حالات قليلة علم اللغة النصي) يفهم على أنه نوع من قواعد الجمل المتعددة. ولما كان تجاوز حدود الجملة أمرا أساسيا في إدراك النصية والبراهين على مثل هذا الإجراء تعتمد على افتراض عمومية الخواص المشتركة للجمل والنصوص:

- لا يمكن تحديد عدد نهائي للجمل أو النصوص أيضا في لغة مفردة؛

- الجمل مثل النصوص ترسم صورا للأشياء، ويكون لها طابع الزمنية،

- كلتا الوحدتين لها بناء داخلي، وتتكون من عناصر لكل منها علاقة بالآخر،

- تتجمع الجمل والنصوص في أنواع على أساس نموذج محدد، وتصبح الأنواع نماذج لإنتاج الوحدات المذكورة وتلقيها.[4]

[4] – فولفجانج هاينه من وَديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بين شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة السعودية، 1999، ص24.

وإذا ما تجاوز التحليل الجملة إلى رصد عمل الدلالة في النصوص في وجوهه المختلفة: التماسك، والانسجام في الموضوع، والزمان، والأشخاص، أو المفاهيم وما يتعلق بها من عمل المضمرات: كالضمائر وغيرها، وتنظيم المكان أو توزيعه، والتفاعل القائم بين أطراف التواصل – فهنا تطرح قضية أساسية تتعلق بشرعية وجود نحو النص إلى جانب نحو الجملة.

إن نحو النص الذي نريده هو نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة، تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرجي يبدأ من علاقات ما بين الجمل، ثم الفقرة، ثم النص أو(الخطاب) بتمامه.[5]

ولم يبدأ الاتجاه إلى نحو النص في أن يفرض وجوده إلا مع بدايات النصف الثاني من هذا القرن، حين نشر زيليخ هاريس (Zellig Harris) دراستين اكتسبتا أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة تحت عنوان تحليل الخطاب(Discourse Analysis)؛ إذ إنه

[5] ينظر: مصطفى صلاح قطب، علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2014، ص ص: 51–52

بهاتين الدراستين لم يكن أول لساني حديث يعتبر الخطاب موضوعًا شرعيًّا للدرس اللساني فحسب، بل إنه جاوز ذلك إلى تحقيق قضاياه التي ضمنها برامجه بتقديم أول تحليل منهجي لنصوص بعينها. وقد خرج بذلك على تقليد أرساه بلومفيلد يقضي بأن التعبير اللغوي المستقل بالإفادة، أو الجملة، هو ما يهتم به اللساني. أمّا النص فليس إلا مظهرًا من مظاهر الاستعمال اللغوي غير قابل للتحديد، وكانت جهود هاريس موضع دراسة ونقد من بعض علماء اللسان على اختلاف أجيالهم مثل كينيث لي بايك(K.L.Pike) وتيون .أ. فان دايك(Teyon A.Van Dijk)، وتتابعت الأعمال في مجال نحو النص،أو ما يسمى باللسانيات النصية(Textual Linguistics)، وكان من بين أعلامها هارتمان (Hartmann) وجليسون (Gleason)، وهارفج (Harweg)، وشميدت(Schmidt).

وما بنا في هذه الفاتحة أن نستقصي القول في عرض هذه الجهود وتقويمها، وإن كنا سنعود إليها بالمراجعة في المراحل القادمة من البحث؛ لكي نستظهر ما يمكن الإفادة به في صياغة إطار نظري عربي لنحو النص. حسبنا هنا أن نستدل بهذه الإشارة على أن نحو النص لم يكن إلا أفقًا من آفاق الدرس اللساني تجاهله

علماء اللسان منذ أقدم عصور التفكير اللساني إلى بدايات العقود الثلاثة الأخيرة، وأن النقلة الجوهرية لم تتحقق له إلا في العقد الماضي على وجه التحديد. ويدل لذلك قول هندريكس (Hendrics) في دراسة نشرها عام1967 إن نحو النص لم يوجد بعد، وأن المحاولات الهادفة إلى تحقيق نظرة نافذة واضحة إلى تراكيب ما وراء الجملة لم تبذل إلا حديثًا.[6]

لكل لساني تعريف خاص بالنص، فكل واحد انطلق من رؤية خاصة به فهذا هارتمان انطلق من الموقف الاتصالي إذ عرفه بأنه علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتصالي السيميائي، وانطلق فاينريش من مفهوم الترابط النحوي، بأنه تكوين حتمي يحدّد عناصره وتستلزم بعضها بعضًا لفهم الكل، أمّا برينكر فكانت انطلاقته من التماسك النصي، إذ يرى أنه تتابع محدود من علامات لغوية متماسكة في ذاتها، وتشير بوصفها كلاً إلى وظيفة اتصالية مدركة، وينطلق هالدياي ورقية حسن من أن النص وحدة دلالية، فهو لا يتعلق بالجمل بل يتحقق بواسطتها، وأن كل متتالية من الجمل تشكّل نصًّا شريطة أن تكون بين عناصر هذه الجمل

[6] – سعد مصلوح، العربية : من نحو الجملة إلى نحو النص، ص408

علاقات، وتتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر ومتتالية برمتها سابقة ولاحقة. فالنص وحدة دلالية وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص، وكل نص يتوفر على خاصية كونه نصًّا، يمكن أن تنطبق عليه صفة النصية.[7]

[7] –هايل الطالب،" من الجملة إلى نحو النص، المفهوم والتطبيق، ضمن مجلة جامعة البعث، سوريا، ع12، 2017، ص103.

المحاضرة الثامنة: التوجهات النصية بعد دي سوسير 3

2019/12/08

1) محاولة هاريس:

يعد هاريس أول عالم لساني غربي سعى إلى الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب في مقال له موسوم بـ "تحليل الخطاب" (1952م)؛ وهو أوّل من استعمل مصطلح تحليل الخطاب، وهذه نقلة نوعيّة في الدراسات اللسانية الغربية. ويعتقد "هاريس" أن وصف اللغة هو وصف لمواضع الألفاظ في الكلام، مثلا:

- أعطى الرجل الولد التفاحة
- منح زيد القط اللبن
- أعلم الصحفي الجمهور الخبر

فمفردة "زيد" و"الرجل" و"الصحفي" من جهة، ومفردة" أعطى" و"منح" و"أعلم" من جهة أخرى، وكذا الشأن لمفردات "الولد، والقط، والجمهور" ومفردات" التفاحة، الخبر، اللبن" كل منها يندرج ضمن فئة واحدة من أجل تكافؤ الموقع.

وإذا كان هذا مهمًّا في الدراسة التي تتعلق بالجملة، فإنه بالنسبة لتحليل الخطاب، ليس كذلك، لأن الخطاب نسق من

الجمل، وليس للجمل مواضع على مثل المواضع التي تقع فيها المفردات، أي أنه من السهل أن نحدد مواقع الكلمات في الجملة، ولكن من الصعب أن نحدد مواقع الجمل في الخطاب.

وقد تمكن هاريس أن يجد وسيلة من تجاوز الجملة إلى وحدة تحليلية أكبر منها، فنظر إلى اللغة من زاويتين:

1- دراسة العلاقات بين الثقافة واللغة؛ وقد أخرجها من دراسته، لأنها بعيدة عن اهتمامات اللسانيين.

2- نظرته للغة بوصفها بنية لغوية خالصة، وقد ركز على هذه الزاوية، لأنها من صميم الدراسة اللسانية حسب منهجه.

فقد قام "هاريس" بتحليل الخطاب انطلاقًا من نوعين من القضايا المرتبطة ببعضها، أولهما: توسيع مجال اللسانيات الوصفية إلى خارج حدود الجملة الواحدة، وثانيهما؛ تمسّ العلاقات بين الثقافة واللغة؛ أي (السلوك اللغوي وغير اللغوي).

فاللسانيات الوصفية، حسب رأي "هاريس" تقف عند حدود الجملة، لأن التقنيات اللسانية سمحت بدراسة أي قول مهما كان طوله. وأن تتابع الجمل في خطاب يشكّل مجالا لمناهج اللسانيات

الوصفية، لأن لها موضوع التوزيع النسبي للعناصر داخل **قول تتابع** جمله **مهما كان طوله.**

نشير إلى عبارة (مهما كان طوله)، فـ"هاريس" يحرص في سعيه هذا إلى توسيع مجال اللسانيات البنيوية الوصفية إلى وحدة لغوية أكبر من الجملة صالحة للتحليل. ونشير كذلك إلى عبارة (القول المتتابع) وعلاقته بما هو غير لغوي، وقد وقف الذين درسوا فكر "هاريس" عند حدود تحليل القول المتتابع في حدّ ذاته دون الإشارة إلى صلته بما هو خارج عنه.

عندما نتتبع أقوال "هاريس" نستخلص جملة من المعطيات أولها وجود ترادف بين الخطاب والنص والقول المتتابع. فهو يستعمل هذه المصطلحات للدلالة على مفهوم واحد وثانيها أن هذه الوحدة التي هي أكبر من الجملة لها بنية كلية وتتميز بخاصية التتابع، فكل هذه المعطيات تسمح بتمثل النص حسب منظوره.

النص

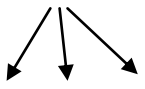

تتابع بنية كل

حاول "هاريس" تحليل النسق في الخطاب وهي خطوة جريئة في منهجية التحليل، فإنه لما أبعد المعنى من تحليله، أدرك بعد ذلك أهميته، فليس للجملة بنية توزيعية مستقلة عن المعنى، فللمعنى دور في تناسق الخطاب وترابطه، وقد استعمل مصطلح "الملفوظ" ويتشكل من جملة أو من فقرة، أي أنه كل جزء من أجزاء الكلام ينجزه المتكلم.

فقد قدّم "هاريس" إطار منهجه التوزيعي طريقة نحوية شكلية في تحليل النصوص أسسها على تقطيع النص إلى جمل وعبارات ومحاولة كشف علاقاتها الترابطية دون أن يعطي الأهمية اللازمة للعلاقات الدلالية بين الترابطات.[1]

2) فرضيات هارتمان:

تتمثل فرضيات بيتر هارتمان في أن النص يطلق على كل ما يرد بلغة، ذلك بأن اللغة تكون في شكل اتصالي أو اجتماعي، كما هي الحال دائما، أي مرتبط بشريك، لذا فإن النصوص(وليست الجمل) لديه هي أيضا الرموز اللغوية الأصيلة التي هي المدار

[1] – بشير إبرير، رحلة البحث عن النص في الدراسات اللسانية الغربية، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2009، ص ص:91–102.

الحق للاتصال اللغوي فإنه إذا تمّ نطق كلام أصلا، فسيكون فقط على شكل نصوص. فاللغة ذات القدرة النصية والقيمة النصية هي وحدها وسيلة الاتصال بين البشر. تبعًا لذلك تتولّد النتيجة المنهجية، بأنه لدى تحليل عناصر الرموز المعزولة يجب في الوقت نفسه أيضا تحليل شروط العزل عن النص الكلي معها. ومع ذلك يطالب هارتمان – خلافا للاتجاه الصاعد من الجملة إلى النص لدى هاريس – باتباع أساس منهجي تطوري من حيث المبدأ، هو استنباط الجمل وكل الوحدات اللغوية الأخرى من النص.

أيضا فيما يخص صياغة كثير من المشكلات النصوصية المفردة كان هارتمان من كبار المؤثرين: فقد شدّد على علاقة المرسل – النص– المتلقي، وفهم السياق على أنه سياق الورود، ووضع أول إسهام للتفريق بين أنواع النص، وفرق على وجه الخصوص بين الظواهر المشتركة بين اللغات(التي تتجاوز اللغة المفردة) في تكوين النص وظواهر الصياغات الخاصة بلغة مفردة.

لذا ساغ له بحق أن يقول إن فرضيته حول علم النص قد فتحت للغويات عامة نافذة جديدة.[2]

(2) فولفجانج هاينه من وَديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بين شبيب العجمي،النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة السعودية، 1999. ص22

المحاضرة التاسعة قضايا لسانيات النص 1

2019/12/15

أ-تحديد مفهوم النص وإشكالاته

-النص من منظور لغوي بحت:

لا يزال مفهوم النص مثيرا للجدل في مجال اللسانيات النصية أو في مجال النظريات النحوية، (كالتوليدية التحويلية أو نظرية النحو الوظيفي)، التي أدمجت مفهوم النص في بنيتها.

فقد مرّ النص بإرهاصات—كما صرح بذلك دريسلر – مهدت إلى بداياته التي تعود إلى العمل المبكر لـ"ويل"() سنة1887م الذي علّق فيه تتابع اللفظ على تتابع الأفكار.

تختلف نظرات الباحثين في الدراسات اللغوية الحديثة إلى النص، من باحث إلى آخر، حيث نرى أن دي سوسير لم يشر في محاضراته إلى كلمة" نص" باعتباره مصطلحا، إلا أنه ذكرها عرضا مرتين:

الأولى عندما تحدث عن موضوع الدراسة الفيلولوجية، التي يعتبرها "علما يتناول ضبط النصوص وتأويلها والتعليق

عليها[1] ، بدراسة المسائل اللغوية المبثوثة في نصوص العهود المختلفة.

والثانية عندما تحدث عن الكلام المنطوق والمكتوب،" فالكلام المنطوق يفلت في أغلب الأحيان عن الملاحظة، فإنّه يتعيّن على الألسني أن يقرأ أيضا حسابا للنصوص المكتوبة لأنها هي وحدها التي تمكنه من أن يعرف الألسن القديمة أو النائية"[2] وبهذا نجد أنه لم يشر البتة "إشارة إلى كون النصّ وحدة نظامية مجردة تابعة لمجال اللغة (linguistique de la langue) أو كونه صورة من صور تجليات الاستعمال تابعة لمجال الكلام (linguistique de la parole)"[3] فهو يشير إلى أنّ الإنسان لا يستطيع أنْ يعبّر بكلمات منفصلة، وأنّ هذه الكلمات لا تحمل بين طيّاتها أفكاراً ذات معنى ودلالة، وإنّما لا بدّ أن توضع هذه الكلمات في علاقات مع بعضها لإنتاج بنية تركيبية ودلالية.

---

[1]- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية "تأسيس نحو النص" ج1، كلية الآداب جامعة منوبة، تونس، ط1، 2001 ، ص26.

[2]- المرجع نفسه، ص26.

[3]- المرجع نفسه، ص27.

كما اقترح هيلمسلاف في كتابه" مقدمة في نظرية الكلام" (Prolégomènes à une théorie du langage) أسسا عامة تعتمد عليه نظريته، إذ حظي مصطلح "النص" بتعريف خاص ذي معنى أوسع، فهو "ملفوظ مهما كان منطوقا أو مكتوبا، طويلا أو موجزا، قديما أو جديدا. فإشارة (قف) هي نص مثله مثل رواية الوردة، فكل مادة لسانية مدروسة تشكلّ تحديدًا نصًّا، يندرج ضمن لغة واحدة أو أكثر. ويشكل فئة قابلة للتحليل من الأجناس، وهي بدورها تقسّم إلى فئات، وهكذا دواليك إلى استنفاد إمكانيات التقسيم"[4] . إذ يعترف بالنص ككيان لغوي قابل للتحليل، متناسق مترابط بين مكوناته.

ولما جاء ز.هاريس الذي يعتبر أول لساني ارتاد هذا المضمار باحثا عمّا هو أكبر من الجملة، حيث حاول أن يوسّع حدود البحث اللساني بأن يجعله يتعدّى الجملة، ويتجه نحو الخطاب/ النص.

وقد اعتمد في مقاله (1952) على مسألتين مترابطتين: الدراسة النحوية للجملة ودراسة علاقة اللغة بالسلوك والثقافة، ففي

(4)- Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse ;Paris, 1999. P482.

المسألة الأولى: "يتمثل في مواصلة الدراسة اللسانية الوصفية بتجاوز حدود الجملة الواحدة في نفس الوقت" وفي المسألة الثانية: "يتعلق بالعلاقة بين الثقافة واللغة (أي العلاقة بين السلوك اللغوي والسلوك غير اللغوي)"[5]مما تصبح نظريته دعوة صريحة إلى تحليل يتجاوز الجملة ويهتم بالعلاقة القائمة بين اللغة والثقافة.

لذا نجد بأن التوجهات اللسانية الحديثة أولت اهتمامها البالغ بدراسة الجملة باعتبارها وحدة لغوية نظامية، وأقصت مصطلح النص، "فقد أقصى دي سوسير الكلام، وأقصى أتباع بلومفيلد المعنى لاتصاله بالمقام واختلاطه به، وكان المقام في جلّ النظريات أسوأ حظًّا لشدّة التشعّب الذي يفضي إليه"[6] .

مفاهيم النّصّ: ومن المفاهيم التي تتصل بالنص، ترجع إلى المنبت المعرفي التي أنتجه، والذي أسهم في بلورته، وفق التراكم المعرفي وكذا المراس الاجتماعي اللذين أحاطا به فلا يتم تحليل النصّ إلا باعتبار ممارسيه، قبل أن ينظر إليه باعتباره عملية علمية، فالنص أو الخطاب من الوجهة الفرنسية يختلف عما هو

---

[5]- محمد الشاوش، مرجع سابق، ص38.

[6]- المرجع نفسه، ص41.

عليه من الوجهة الأمريكية ومن الوجهة الهولندية وبهذا يصبح النظر إليهما برصد الاختلاف أو الائتلاف المسجل بين مجموعة علمية وأخرى. ولن يتمّ ذلك إلا بعرض المفهومات الثلاث التي تتعلق بالنص[7].

-**النصّ باعتباره متنا:** النصّ في نظر اللسانيين البنيويين بفرنسا يمثل مجموعة من الملفوظات اللغوية التي تقبل التحليل، إذ هو عينة من السلوك اللغوي مكتوبة أو شفهية، ويكون بذلك مرادفا لمصطلح المدونة (Corpus). فهو يمثل عددا غير متناه من الجمل، والذي يضمن وجودا ماديا ملموسا لسلسلة من العناصر اللغوية.

ويصبح النصّ بعد ذلك مصطلحا آخر معادلا للكلام (parole) بأنّه حالة ذاتيّة تحقّق فيها الذات المتكلمة أبعادها، باعتباره إنجازا فرديا يتصل بالإبداعية التي تمتد لمفهوم الكلام عند دي سوسير، بينما الإبداعية عند تشومسكي، فهي على نوعين:

- الإبداعية التي تغير القواعد، وترتبط بالإنجاز (Performance).

---

[7]- ينظر: عبد الناصر لقاح، "مفهوم النص في الفكر اللغوي المعاصر"، ضمن اللسانيات واللغة العربية بين النظرية والتطبيق، سلسلة الندوات 4، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، المغرب، 1992. ص17.

- الإبداعية التي تخضع للقواعد، وترتبط بالكفاءة (Competence).

فالنص بهذا المعنى يوصف باعتباره إنجازا فرديا أو كلاما يقابل اللسان عند دي سوسير، أما استغلال تلك القواعد وإنجازها فرديا، فتمثل النصّ أو الكلام، وهذا ما دفع بالأسلوبيين إلى أن يهتموا بالنص الشعري على الخصوص[8].

-**النصّ باعتباره احتمالا:** يقوم هذا الاتجاه على الأبعاد النظرية للنحو التوليدي، التي تسعى إلى إنشاء نماذج للقدرة بحكم تفسيرها لتوليد الأشكال الخطابية، حيث تمثل الشعرية التوليدية القسم الأكثر تطورا تحديدا في مجال دراسة النصوص. واستطاعت بذلك أن تنظر في القواعد المجردة التي تخصّ الخطاب الشعري[9].

يركز فان دايك على الكفاءة النصية التي ينبغي للغوي أن يهتمّ بها، لأن المتكلم يعتمد عليها في إنتاج وتأويل ملفوظ ما بشكل شمولي، أو في شكل خطاب مترابط. وكما ينبغي على اللغوي أن يفسر كيف يستطيع المتكلم التمييز بين نصوص نحوية وأخرى لاحنة ؟

---

[8]- المرجع نفسه، ص18.

[9]- عبد الناصر لقاح ،المرجع السابق، ص20.

وكيف يتعرف على أنواع النصوص المؤتلفة على مستوى الشكل؟ وكيف يتمكن من إعادة صياغتها مستعينا بنصوص أخرى؟

مسوغات عزوف اللسانيين الذين يهتمون بالنص عن الجملة، وتتمثل فيما يلي:

- إن النصّ هو الذي يسمح لنا برفع اللبس في الجمل.
- النصّ يشتمل على اقتضاءات واستلزامات لا تشتمل عليها الجمل التي تكوّنه.
- النصّ قابل لإعادة الصّياغة بشكل أكثر من الاحتمالات التي تمدّنا بها الجمل (إما عن طريق الإطناب والشرح، أو التلخيص الشديد)[10].

وتتعدد الكفاءة النصية عند فان ديك بتعدد أنواع النصوص، حيث تتيح للمتكلم المثالي أن يفهمَ عددًا غير متناهٍ من النصوص، ويؤّلَها ويفسرَها، بذلك تكون الكفاءة ذات طبيعة نصية، ولا تمثل لسانيات الجملة إلا جزءا من لسانيات النص.

[10]- المرجع نفسه، ص21.

ويرى-كذلك- أن هناك قدرة سردية تكون إلى جانب الكفاءة النصية التي تدخل في النحو النصي المؤهل لتوليد عدد غير محدود من البنى النصية السليمة التي تقبل الوصف اللساني[11].

-**النصّ باعتباره إقناعا:** ينفرد الخطاب الإقناعي بميزتين:

✓ تأسيسه وفق بنية من القضايا التي تكون برهانا، وتترجم موقف المتكلم (إثبات –حكم – نقد) بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

✓ إحالته الدائمة على الآخر، والذي يكون في هذه الحال إما مفردا أو غير ذلك ويكون إما واضحا أو غير واضح في الخطاب.

فالنص يظهر جليا في هذا الاتجاه من خلال توالي القضايا[الجمل] والروابط التي تصل بعضها ببعض، وفق مفاهيم كـ: الكمية، الكيفية، المجاورة، الحذف، الربط، الخضوع الخ.... واعتمادا على هذه المفاهيم، يتم بطريقة ما إنشاء تصنيف للخطابات (typologie des discours).

[11]- المرجع نفسه، ص22.

والمشكلة التي تعترض هذا الاتجاه، تتمثل في أن منهجه لا يمكن أن نعتمده في تحليل جميع النصوص وبنفس الطريقة لأنّ النصوص نوعان: نصوص مليئة بالوسائل الإقناعية كالخطاب السياسي، ونصوص خالية منها، على الأقل في بناها السطحية، كحال الشعر المعاصر في بعده التجريدي، فلا يمكن أن نعتمد نفس الآليات في دراسة الخطابات السياسية والشعرية. ولحلّ هذا المشكل لابدّ من خلق وسائل منهجية تضع في الحسبان نوع النصّ المد روس.

ويقوم هذا الاتجاه على مسلّمة مفادها أنّ الخطاب موجّه لآخر فردا كان أو مجموعة حيث يفترض وجود تواصل مؤكّد، قائم على شفرة (Code)، وسياق (Contexte)، إلاّ أنّ بعض النصوص لايمكن أن يشملها هذا التعريف كالمذكرات الخاصة (Le journal intime)[12].

[12]- ينظر: عبد النصر لقاح، مرجع سابق، ص23.

المحاضرة العاشرة: قضايا لسانيات النص 2

ب-تحديد خصائص النص

❖ **الاتّساق:** الاتّساق مفهوم دلاليّ يحيل إلى علاقات معنويّة تقوم ضمن النّصّ الذي يعرّفها كنصّ حينما يتعلّق تأويل عنصر خطابيّ ما بتأويل عنصر آخر، فلا يمكن أن نفهم العنصر الثّانيّ إلاّ بالعودة إلى الأوّل.

أهمية الاتساق: تظهر أهميّة الاتّساق في التّماسك القويّ بين الأجزاء التّي تشكّل بنية النّصّ، إذ نجد أن الاستمرارية هي الصّفة التي تتجسّد في ظاهره.

وظيفة الاتّساق: يقع الاتّساق " بين العناصر داخل النّصّ على مستوى البنية السّطحية، ويزيد من تماسك النّصّ" 1-وذلك بازدياد التّماسك بين جملة وأخرى. ويعني هذا أنّ التّعامل مع معيار الاتّساق سيتّجه في اتجاهين:

-إظهار ماهيّة وسائل الاتّساق لبيان العناصر الأسلوبية لنوع النّصّ أو اللّغة في الاستخدام الفعليّ.

-وما يشتمل عليه الانسجام، في إظهار كيفيّة عمل هذه الوسائل اللّغويّة في ظلّ عناصر أخرى دلاليّة، منها السّياقيّة

والتّداوليّة، التي تمثّل البنية التّحتيّة لها فتحركها وتجعل استخدامها أمرًا مقبولاً.

العوامل الأساسية المتحكّمة في الاتّساق:

-**الكثافة:** كثافة استخدام أدوات الاتّساق داخل النّصّ تسهم في تحديد المعلومات الأساسية والثّانوية، فكلّما زادتِ الأدوات بين أجزاء النّصّ، ازدادت إحالة على الفكرة الرئيسة فيه، وأحكمت اتّساقه وتماسكه.

-**المسافة الاتّساقيّة:** (المسافة بين أدوات الاتّساق) كلّما قربتِ المسافة بين أدوات الاتّساق داخل النّصّ وقلّت بينها، كان الاتّساق أوضح للمتلقي وأبين.

-**التّكامليّة:** ما تمثّله أدوات الاتّساق المتنوّعة التي تتضافر بصورة تكامليّة تشكّل داخل البنيّة النّصّية وحدة يصبح بها النّصّ نسيجًا متكاملا[1].

أدوات الاتّساق:

❶ الاتّساق النّحوي :

أ) **الإحالة:** الإحالة ظاهرة نصّيّة ذات دور في اتّساق أجزاء النّصّ، وتنقسم إلى نوعين:

▪ **الإحالة المقامية (Exophore)**: تسمّى (الإحالة الخارجيّة) أي الإحالة خارج النّصّ أو خارج اللّغة، فالضمير يستعمل " للدّلالة على أمر ما غير مذكور في النّصّ مُطلقًا، غير أنّه يمكن التّعرّف عليه من سياق الموقف. إذا قلنا: ما هذا؟ لا نعرف المشار إليه إلاّ من خلال سياق الموقف.

▪ **الإحالة النصّيّة (Endophore)**: تسمّى (الإحالة الدّاخلية) داخل النصّ، تمثّل "العلاقات الإحالية التي تحقّق داخل النّصّ سواء أكان بالرّجوع إلى ما سبق أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي داخل النّص"[2]، وهي نوعان: إحالة قبلية وإحالة بعدية.

✓ **إحالة قبلية (Anaphore)**: "هي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى سابقة في النصّ أو المحادثة [...] ومن الممكن أن تكون الإحالة بتكرار كلمة واحدة. أو عبارة واحدة في جملتين متعاقبتين"[3].

✓ **إحالة بعدية (Cataphore)**: تسمّى (إحالة على اللاحق) و"تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النّصّ ولاحق عليها"[4] "وتستخدم لإيضاح شيء مجهول أو مشكوك فيه، ولهذا فهي تعمل على تكثيف اهتمام القارئ؛ ففي تلقّي النّصّ يؤدّي

وجودها إلى خلق مكان فارغ مؤقّت حتّى يتمّ شغله بالمرجع المطلوب.

والإحالة برغم تنوّعها في اللّغة فإنّ الوصف اللّساني لها كشف عن هذه الأنواع، منها:

- ❖ الإحالة الضّميرية.
- ❖ الإحالة الإشارية.
- ❖ إحالة الموصول.
- ❖ إحالة المقارنة.

كما "يتمايز نمطان من الإحالة بحسب مداهما النّصي، هما:

- ✓ الإحالة ذات المدى القريب، الكائنة في مستوى الجملة الواحدة فتجمع العنصر الإحالي والمفسّر.
- ✓ الإحالة ذات المدى البعيد، وهي لا تظهر إلاّ بين الجمل المتباعدة في المساحة النّصّيّة[5].

1- **الإحالة الضّميرية (Référence Pronominal)**: تبرز الشّخوص التي تشارك في العملية التّلفظيّة (ضمائر الحضور)، أو التي لا تشارك فيها (ضمائر الغياب)، فهي تنقسم إلى "فرعين كبيرين متقابلين هما: ضمائر الحضور وضمائر الغياب؛ ثمّ تتفرّع

ضمائر الحضور إلى متكلّم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه، وهو المتقّبل؛ وكلّ مجموعة منهما تنقسم بدورها حسب الجنس والعدد إلى أقسامها المعروفة. أمّا ضمائر الغياب فمعيار التّفصيل فيها لا يتجاوز الجنس والعدد؛ فضمائر الحضور أكثر تفصيلاً من ضمائر الغياب"(6).

والضمائر نوعان:

- ✓ ضمائر وجودية: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن...
- ✓ ضمائر ملكية: كتابي...

2- **الإحالة الإشاريّة (Référence Déictique):** نصنّفها إلى عدّة أصناف: حسب الظرفية: الزمان (الآن، غدًا)، والمكان (هنا، هناك)، أو حسب الحياد (The) أو الانتقاء (هذا، هؤلاء)، أو حسب البعد (ذاك، تلك)، والقرب (هذه، هذا) ونشير إلى أن أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدي، وإذا كانت أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية بمعنى أنّها تربط جزءًا لاحقًا بجزء سابق ومن ثمّ تساهم في اتّساق النّصّ، فإنّ اسم الإشارة المفرد يتميّز بما يسمّيه

المؤلّفان "الإحالة الموسّعة" أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتاليّة من الجمل[7].

وإنّ ما يفرّق بين الإشارة والإحالة هو العالم الخاصّ الذي يحتوي عليهما "فعالم الإشارة عادة ما يحدّد بأنّه "خارج الكلام"؛ أيْ العالمُ غيرُ اللغويّ الذي نطلق عليه السّياق (Contexte) في حين أن عالم الإحالة يحدّد بأنّه "داخل الكلام"؛ أيْ العالمُ اللغويُّ الذي نطلق عليه النّصّ (Texte)"[8].

3- **إحالة الموصول (Référence Relative):** الاسم الموصول "اسم غامض المعنى مبهم الدّلالة، ولهذا الغموض والإبهام أثرهما في غموض المعنى الكليّ للكلمة وإبهامه"[9] ولا بدّ أنْ تأتي بعده صلة الموصول التّي تحتوي على ضمير يعود على اسم الموصول.

والاسم الموصول قسمان: مختصّ ومشترك.

✓ المختصّ: ما كان نصًّا في الدّلالة على بعض الأنواع دون بعض، مقصورًا عليه وحده يذكّر ويؤنّث، ويثنّى ويجمع: الذي (اللّذان، اللّذين، الّذين، الأولى)، والتي (اللّتان اللّتين، اللّواتي، اللائي، اللاتي).

✓ والمشترك: ما ليس نصًّا في الدّلالة على بعض هذه الأنواع دون بعض أي ليس مقصورًا على بعضها وإنّما يصلح للأنواع كلّها: مَنْ (للعاقل)، وما (لغير العاقل) [10].

والاسم الموصول ذو وظيفة مزدوجة، "إذ تعوّض وتربط ربطًا تركيبيًّا. وهي بحكم إبهامها تحتاج إلى صلة تفسّرها، فالصّلة ينبغي أن تكون معلومة للسّامع في اعتقاد المتكلّم قبل ذكر الموصول، وذلك يفسّر التّلازم بينهما"[11]، فتجعله واضح المعنى، كامل الإفادة.

4- إحالة المقارنة (Référence De Comparaison)

تمثّلُ المقارنة نوعًا من أنواع الإحالة، وتنقسم إلى قسمين: مقارنة عامّة ومقارنة خاصّة.

- **المقارنة العامة (Comparaison Générale)**: تتفرّع منها:
  - ✓ التّطابق: (نفسه)
  - ✓ التّشابه: (مماثل، مثل)
  - ✓ الاختلاف (خلاف ذلك، غيرها).
- **المقارنة الخاصّة (Comparaison Particulier)**: تتفرّع منها:
  - ✓ الكميّة (أكثر)

- ✓ الكيفية (أجمل من، جميل).

والمقارنة باعتبارها إحالة نصيّة تقوم– بما تقوم به الأنواع التي تقدّمت– بوظيفتها الاتّساقيّة إلاّ أنّها "تختلف في خاصيّة الإحالة الضّميرية والإحالة الإشاريّة من حيث إنّها لا تعمل انطلاقًا من تحديد العنصر المحيل والعنصر الذّي يحيل عليه، ولكن انطلاقًا من مقارنة صريحة مع العنصر المحيل عليه"[12].

ب) **الحذف (Éllipse):** الحذف ظاهرة من ظواهر النصّية حيث يتحدّد"بأنّه علاقة تتمّ داخل النّصّ فمعظم أمثلته تبيّن أنّ العنصر المحذوف موجود في النّصّ السّابق، ممّا يعني أنّ الحذف ينشأُ علاقة قبليّة، ولا يختلف الحذف عن الاستبدال إلاّ بكونه استبدالا بالصّفر، بمعنى أنّ علاقةَ الاستبدالِ تترك أثرًا في النّصّ، وأنّ العنصر البديل يبقى مؤشّرًا يهتدي به المتلقي في البحث عن العنصر المستبدل في حين يختلف الأمر مع الحذف فلا يحلّ محلّ المحذوف أيّ شيء ممّا يترك في الجملة التّالية فراغًا في البنية يهتدي المتلقي إلى ملئه بالعودة إلى ما ورد في الجملة السّابقة"[13].

وللحذف أنواع ثلاثة:

1- **الحذف الاسمي** (Éllipse Nominale): يكون الحذف الاسمي داخل المجموعة الاسميّة من خلال العناصر التالية:

✓**العنصر الإشاري** (Élément Déictique): تعبر عنه الكلمات الآتيّة (كلّ– بعض– أي – كلا– كلتا). مثال: –الرّجال رجعوا منتصف الليل. – الكلّ كان متعبًا.

✓**العنصر العددي** (Élément Numéral): ما يعبّر عن التّرتيب العدديّ، مثل (أوّل–ثانٍ– ثالث... الخ) أو الكلمات التي تدلّ على الكمّ، مثل (كثير– قليل). مثال: –هل لك في شيكولاته أخرى؟ – لا شكرًا، لقد كانت الثّالثة.

✓**النّعت** (Epithète): خاصّة ما يدلّ على لون، مثال: – أريد قميصًا خشنًا. – أعتقد (...) الأملس أفضل. – أعتقد (القميص) الأملس أفضل.

2- **الحذف الفعلي** (Éllipse Verbale): يكون الحذف داخل الجملة الفعلية كذلك، وهو نوعان:

✓ **الحذف المعجمي** (Éllipse Lexicale): يفقد الفعل المعجمي من المجموعة الفعليّة. كما في المثال:

– هل سبحت؟ نعم.

✓ **حذف العامل (Éllipse d'opérateur):** يتضمّن حذف العامل فقط، ويظلّ الفعل المعجمي كما هو، ويحدث هذا بين الجمل المتاخمة مع بعضها البعض مثل السّؤال والإجابة كما في المثال التّالي:

– هل كانت تبكي؟ لا، تضحك.

3– **حذف الجملي (Éllipse Propositionnel):** للجملة وظائف كلاميّة مختلفة مثل: الإخبار(information)، والسّؤال (Question) ، الإجابة (Réponse) وغيرها. ومن الموضع التي يكثر فيها الحذف الأسئلة التي يجاب عنها بنعم أو لا.

مثال 1: هل ستأتي؟ – نعم.

مثال 2: متى وصل جون؟ – أمس[14].

ج) **الوصل:** يقوم الوصل بوظيفة 'التّحديد للطّريقة التّي يترابط بها اللاحق مع السّابق بشكل منظّم، بعناصرَ رابطة متنوّعة تصلُ بينَ أجزاءِ النّصّ"[15] وفقراته، وقد أورد فابريسيوس– هانزن المجموعات المستخدمة للتّفريق بين صور الرّبط:

✓ عاطفة (إضافيّة، وفاصلة واستدراكية): الواو، أو، لكن..

- ✓ وسببية (غائية ضمنًا ومتوالية): لأن وبذلك، وبحيث إنّ...
- ✓ واعتراضية: مع أنّ، إنّ...
- ✓ وشرطيّة: إنْ، إذا...
- ✓ وزمنية: حين... الخ
- ✓ صيغية – أداتية: بأنّ... الخ [16]

فقد ذكر علماء النّصّ "أمثلة كثيرة للعطف لا تندرج تحت أدوات العطف الأساسيّة، لأنّ الذي يقوم بالعطف فيها ليس حروفًا للعطف؛ بل عبارات تحقّق هذه الوظيفة"[17].

1- **الوصل الإضافي (Conjunction)**: يسمّى (مطلق الجمع) ويتمّ بين "الأشياء التي لها نفس الحالة، فكلّ منهم صحيح في عالم النّصّ. وغالبًا ما يشار إليه بواسطة الأدوات: (و– أيضًا– كذلك– أو– أم) والاختيار من بين هذه الأدوات في النّصّ هو اختيار بلاغي فـ (الواو) تفيد الاشتراك (Coordination)، و(أو) تعطي معنى البديل (Alternative) وعادة ما تستخدم مع السّؤال والطّلب والوعد والخبر"[18]، ويمكن أن يندرج تحت "الوصل الإضافي علاقات أخرى مثل: التّماثل الدّلالي المتحقّق في الرّبط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل...؛ وعلاقة الشّرح، وتتمّ بتعابير مثل: أعني،

بتعبير آخر ...وعلاقة التّمثيل المتجسدة في تعابير مثل: مثلاً، نحو... "[19].

2-**الوصل العكسي:** يسمى (الوصل الاستدراكي)، "الذي يعني عكس ما هو متوقع"[20]، فأدواته تساهم في الرّبط بين "شيئين لهما نفس المكانة ولكنّهما يبدوان غير متّسقين معًا في عالم النّصّ، كأن يكونا: سببًا ونتيجة غير متوقّعة، فالجمع بينهما يكون غير محتمل. ومن تلك الأدوات: (لكنّ– بيد أنّ–غير أنّ– وإمّا – خلاف ذلك– على العكس– في المقابل)"[21] التي تختلف خصوصياتها من لغة إلى أخرى.

3- **الوصل السّببي:** يندرج ضمن علاقات منطقية كالسّبب والنّتيجة ويعبر عنه بعناصر مثل: هكذا– كذلك– إلى هذا الحدّ– مثلاً– من الآن–من هنا– لذلك– إذن– بناءً على..."[22] فهذه العناصر نجدها في اللغات الأجنبية، أمّا فيما يخصّ اللغة العربية فتتمثّل فيما يلي: (الفاء، لأنّ إذن،...).

4- **الوصل الزّمني:** يجسّد علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعين زمنيًّا. وإذا كان للزمن تقسيمات: ماضٍ– مضارع– مستقبل، فإنّ هذا التّقسيم يعتمد على استخدام المتحدّث ووصف

النّصّ وفقًا للسّياق أو تفاعل الأحداث مع بعضها البعض"[23] ونعبّر عنه بأداة Then في اللغة الإنجليزية، أمّا ما يقابله في اللغة العربية، نجد العناصر التّالية: (إذن، لذلك، بعد...).

فالوظيفة المنوطة بالوصل "هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة فإنّه لا محالة يعتبر علاقة اتّساق أساسية في النّصّ"[24].

د) **الاستبدال:** يتمّ الاستبدال داخل النصّ، إنّه تعويض عنصر في النصّ بعنصر آخر. ويميّز لسانيو النّصّ بين ثلاثة أنواع من الاستبدال، منها ما يلي:

1- الاستبدال الاسمي:

يتمّ بإحلال اسم محلّ اسم آخر، فيؤدّي وظيفته التّركيبية داخل النّصّ، و"يتمّ باستخدام عناصر لغويّة اسميّة مثل: (آخر، آخرون، نفس)[25]. نسوق أمثلة من النصّ القرآني، ممّا جاء في سورة آل عمران، الآية (13) قال تعالى: {**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**(13)} سورة آل عمران.

قد تمّ الاستبدال في الآية الكريمة باستخدام العنصر اللغوي الاسمي (أخرى) كلاحقة بكلمة (فئة) والتّقدير (فئة كافرة) ليتمّ "الرّبط بعد جذب انتباه القارئ"[26].

2- الاستبدال الفعلي: (يتمّ "من خلال استخدام الفعل (يفعل)"[27]. " فيأتي إضمارًا لفعل أو لحدث معيّن أو عبارة فعلية، ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل ويستخدم بصورة أكثر في المحادثة عنه في الخطاب المكتوب"[28]، نمثّله بما يلي: أتظنّ محمدًا لا يصارحك ؟- أظنّه يفعل. فكلمة (يفعل) فعلية استبدلت بكلام كان يجب أن يحلّ محلها وهو (لا يصارح).

3- استبدال الجملي (القولي): يتمّ بكلمة واحدة بدلاً من جملة بكاملها، حيث تعوّضها وفي هذه الحال تقع أولاً جملة الاستبدال ثمّ تقع الكلمة المستبدلة خارج حدود الجملة ويتمّ باستخدام الأداتين (هذا، ذلك) [29]. **قال تعالى: {قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا(63) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) } سورة الكهف.**

نلاحظ أنّ كلمة (ذلك) جاءت بدلا من الآية التي سبقتها كلّها، ممّا جعل الآيات متماسكة "

و"هذا ما من شأنه أن يحقّق نوعًا من التّلاحم والاستمرارية على مستوى الكلام. كما أنّ من مزايا هذه الظّاهرة اللّغوية، أنّها تمكّن كاتب النّصّ من عرض أفكاره دون تكرار كلمات بعينها، ودون الاستعمال المفرط للضّمائر، الأمر الذي قد ينعكس سلبًا على مقروئية النص"[30].

❷.**الاتّساق المعجمي**: هو "العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات النّصيّة، وهي علاقة معجميّة خالصة لا تفتقر إلى عنصر نحوي يظهرها"[31] فيساهم في تحريك" العناصر المعجميّة على نحو منتظم في اتجاه بناء الفكرة الأساسية للنّصّ (Topique)، وتكوينه"[32]. تحقيقًا للدّور المرجوّ منه، "ويحدث الرّبط بواسطة استمرارية المعنى بما يعطي النصّ صفة النّصية"[33].

وللاتّساق المعجميّ وسيلتان تتمثّلان في: التّكرار (Réitération) والتّضام (Collocation).

1. **التّكرار:** يرتكز على "إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف"[34] بطريقة مباشرة حيث تتوزّع وظيفة العناصر المكرّرة التي" ينبغي أن تنطبع في الذاكرة.

ونجد أنّ التّكرار يتراوح "بين وظيفتين: الأولى دلالية والثّانية تحقيق الاتّساق النّصّي" وذلك عن طريق امتداد عنصر (كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة) ما من بداية النصّ حتّى آخره.

- **أنواع التّكرار:**

قسّم علماء النّصّ التّكرار إلى أربعة أنواع:

أ)**تكرار العنصر المعجميّ:** ينقسم إلى قسمين:

الأوّل: التّكرار التّامّ: يعدّ التّكرار التّام إعادة لفظيّة دون تغيير، وله مظهران: "أولهما التّكرار مع وحدة المرجع (أي والمسمّى واحد) وهو ما تجاور فيه اللّفظان المكرّران؛ و**ثانيهما** التّكرار مع اختلاف المرجع (أي والمسمّى متعدّد) وهو ما كان بين اللّفظين المكرّرين فاصل قصير أو طويل، وهو النّوع الذّائع الصّيت في الكلام[35].

أمّا **الثّاني: التّكرار الجزئي:** يتمثّل التكرار الجزئي في "تكرار الكلمة مع شيء من التّغيير في الصّيغة، أي تكرار الجذر اللّغوي

في عدد من الصّيغ داخل النّصّ الواحد"[36]. ويستخدم في ذلك "المكوّنات الأساسية للكلمة (الجذر الصّرفي) مع نقلها إلى فئة أخرى مثل: (ينفصل – انفصال)، (يحكم – حكم – حكام – حكومة)" [37].

ب) **التّرادف أو شبه التّرادف:** التّرادف "يعني تكرار المعنى دون اللّفظ، وقد يتكرّر أكثر من مرّة في النّصّ، لأكثر من كلمة، ومن ثمّ تتّسع المساحة التّي يحدثُ فيها سبكًا"[38]. ويكون بين كلمتين مترادفتين حيث تتضمّن إحداهما الأخرى، والعكس.

كما نجد أنّ دي بوجراند ودريسلر قد استخدما "مصطلح إعادة الصّياغة (Paraphrase) ويعني (تكرار المحتوى، ولكن بنقله بواسطة تعبيرات مختلفة) مثل (يكتشف – يخترع) وهنا ندخل في منطقة التّرادف. فإعادة الصّياغة قد يؤدّي إلى التّرادف، ولكنّ العكس ليس صحيحًا"[39].

أمّا (Hoey) قد أطلق على التّرادف مصطلح إعادة الصّياغة البسيطة (Simple Paraphrase) التي "تكون جزئية أو متبادلة. فتكون جزئية إذا كان الاستبدال يعمل في اتجاه واحد فقط مثل (مجلد – كتاب)، وتكون متبادلة عندما يعمل الاستبدال في الاتجاهين مثل

(يسكن الألم – يهدأ الألم). ولا شكّ أنّ السّياق له دور هام في صنع هذه العلاقة أو نفيها"[40].

– **أهمية التّكرار**: التّكرار مظهر اتّساقي تتجلّى "وظيفته في ضوء التّحليل النّصي المعاصر، يهدف إلى تدعيم التّماسك النّصي وكذلك يوظّف التّكرار من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنّص"[41] ولكي يقوم بهذه الوظيفة لا بدّ أن يكون له "نسبة ورود عالية في النّصّ تجعله يتميّز عن نظائره.. ويساعدنا رصده – أي التّكرار – على فكّ شفرة النّصّ وإدراك كيفيّة أدائه لدلالته"[42].

2. **التّضام** [*]: التّضام أو المصاحبة اللغوية ويقصد به "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوّة نظرًا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[43]، والتي اعتاد أبناء اللغة على ارتباط وقوعها في الكلام "بحيث يمكن توقّع ورود كلمة محددّة في النصّ من خلال ذكر كلمة أخرى فيه"[44]. أي أنّه يتمّ ارتباط "عنصر بعنصر آخر من خلال الظّهور المشترك المتكرّر في سياقات متشابهة مثل الكلمات (الحرب – الأعداء – الصّراع – الجنرال) و(المجتمع – الاقتصاد – الطّبقة)" [45] وغيرها.

-**وسائل التّضام:** هناك علاقات تحكم التّوارد الزّوجي من الكلمات الموظّفة في النّصّ، ومن بين هذه العلاقات:

✓ **الارتباط بموضوع معيّن:** يتمّ ارتباط العناصر المعجمية بموضوع معيّن ضمن سياق متشابه، مثال: عندما نذكر (المرض) لابدّ أن يصاحب هذه المفردة الكلمات التالية: (طبيب، دواء، شفاء، موت...).

✓ **التّضاد:** التّضاد هو التّرابط الذي يتمّ بين الكلمات من خلال التّقابلات التي تستخدم في الدّلالة على عكس المعنى، وله أشكال مختلفة أهمّها:

✓ **المكمّلات (Complémentaires):** هذا النّوع منَ التّضاد تتكامل فيه دلالة الكلمتين تكاملا متضادًا، حيث تشمل المكمّلات كما في المثالين: (ذكر – أنثى)، (وقف – جلس). وهو ما عرف في البلاغة العربية بالطّباق.

✓ **المتعارضات(Incompatibles):** يشمل الكلمات المتعارضة (Les Mots Incompatibles)، كما هو الحال في الكلمات التّالية: (يحبّ – يكره) وغيرهما.

✓ **المقلوبات (Inverses):** يفترض في هذا النّوع منَ التّضاد اتجاهًا مقلوبًا أي عكسيًّا وذلك كما هو حال في الكلمات المقلوبة (أمر – أطاع) و(صعد – نزل)، وغيرهما.

-علاقة الجزء بالكلّ (Relation Du Partie Avec Le Tout): يتعلّق بما له علاقة الجزء بالكلّ (العامّ) مثلاً ما تمثّله اليد كجزء من (الجسم) الذي يشكّل الكلّ.

-علاقة الجزء بالجزء (Relation Du Partie Avec Partie): تتمّ هذه العلاقة بين ما يمثّله الجزء بالجزء كما هو الحال في (نافذة – باب).

-الاشتمال المشترك (Co-Hyponyme): يحمل مصطلح الاشتمال "فكرة التّضمن (Inclusion)؛ فمثلاً الكلمتان "خزامى – وردة" تتضمّنها "زهرة" والكلمتان "أسد – فيل" تتضمنهما كلمة "الثّدييات" (أو ربما كلمة الحيوان). وقد أطلق ليونز (Lyons) على هذه العلاقة مصطلح الاشتمال (Hyponyme)[46]. الذي يختلف عنِ التّرادف لأنّه يكون من طرف واحد.

-الكلمات المنتظمة (Les Mots Réguliers): تمثّل الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة منتظمة، حيث "تشمل أزواج من الكلمات

لها ترتيب معين مثل: الكلمات الدّالة على الاتّجاهات (الشّمال – الجنوب – الشّرق – الغرب)، وأيّام الأسبوع (السّبت، الأحد الاثنين...)، وشهور السّنة (يناير – فبراير...)" [47].

– **الكلمات غير المنتظمة (Les Mots Non-Réguliers)**: تمثّل الكلمات التي إلى مجموعة غير منتظمة، "مثل مجموعة الكلمات الدّالة على الألوان (أحمر – أخضر...)[48].

❸ **الاتّساق الصوتي**: يقتضي منّا الاتّساق الصّوتي أنْ ندقّق النّظر في إيقاعين: "أوّلهما الإيقاع الخارجي المتّصل بالأوزان والقوافي على نحو خاصّ. وثانيهما الإيقاع الداخلي الصّادر عن أساليب تركيبية في بناء الجملة"[49] بلاغيًّا كالجناس والطّباق والمقابلة

- **الانسجام**[*]:(cohérence)

دلالة الانسجام في الاصطلاح:

يرتبط بالانسجام طرفان: الأوّل داخل النّصّ (ظاهر) تحمله الأدوات الظّاهرة للرّبط، والثّاني خارج النّصّ(تداولي)"[50] فيتّصل اتّصالًا وثيقًا برصد التّرابط والاستمراريّة في عالم النّصّ، و" يتطلب

من الإجراءات ما تنشط به المعرفة، لإيجاد التّرابط المفهومي (connectivité conceptuel) واسترجاعه وتشتمل وسائله على:

- العناصر المنطقية كالسّببية والعموم والخصوص.

- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

- السّعي إلى التّماسك فيما يتّصل بالتّجربة الإنسانية، ويتدعّم بتفاعل المعلومات التي يعرضها النّصّ مع المعرفة السّابقة بالعالم(51).

فالانسجام من هذا المنظور يؤدّي إلى أن يكون الخطاب أو النصّ مقبولا دلاليًّا وتداوليًّا فيكون بذلك منسجمًا في ذهن المبدع والمتلقي على حدّ سواء حتى يستطيع أن يفهمه ويؤوّله.

1- مبادئ الانسجام:

1-6السّياق (Contexte): السّياق مصطلح ذاع صيته وأثّر في الدّرس اللّغوي الحديث، خصوصًا في التّداوليّة التي تعدّه أساسًا من أسسها. وله مفهومان:

✓ **السّياق اللغوي أو المقالي:** البنية اللّغويّة التي تتّصل بما قبلها وبما بعدها.

✓ **السّياق غير اللّغويّ أو المقاميّ:**الظّروف والملابسات التّي تحيط بالحدث اللّغويّ أو غيره[52].

وقد صنّف هايمز (Hymes) الخصائص التّي تميّز السّياق وهي: المتكلّم والمخاطب والمشاركون، والموضوع، والقناة، والمقام، والسّنن، وجنس الرّسالة والحدث والمقصد[53].

ويقتضي السّياق عناصر مختلفة تسهم في تحديده؛ من بينها:

- **العنصر الذّاتي:** يتمحور في اهتمامات المتكلّم ورغباته ومقاصده ومعتقداته.
- **العنصر الموضوعي:** يتمثّل في الوقائع الخارجية التي تمّ فيها القول؛ أي الظّروف الزّمانية والمكانية.
- **العنصر الذّواتي:**، يتمثّل المعرفة المشتركة بين ذوات المتخاطبين[54].

-دور العناصر السّياقية في الخطاب:

✓ **المخاطِب (المبدع):** يمثّل باث النصّ "الذّات المحورية في إنتاج الخطاب.

✓ **المخاطَب (المتلقي):** المتلقّي هو الطّرف الذي يستقبل الخطاب"فيستطيع أن يحقّق تأويل موضوعي للمعنى الذي عبر عنه الشّاعر، وما قصد إليه.

✓ **الخطاب (الرّسالة):** خطاب إبداعيّ بالدّرجة الأولى، أحادي الأداة، تقوم به: صوتًا، نحوًا، ودلالةً قوانينه الخاصة التي بها يصير إلى وجوده متميّزًا ضمن النّظام اللّغويّ العامّ"[55].

2-6**مبدأ التّأويل المحلّي:** التّأويل هو"كلّ فعل قرائي يروم بناء المعنى، استنادًا إلى أدوات ومرجعيات وقواعد في العمل، والتزام مطلق بحدود البلاغة التّأويليّة، وهي خلاصة تجارب جماعيّة في تأطير الفهم وبلوغ الدّلالة"[56] أمّا مبدأ التّأويل المحلي يرتبط "بما يمكن أن يعتبر تقييدًا للطّاقة التّأويليّة لدى المتلقي باعتماده على خصائص السّياق، كما أنّه مبدأ متعلّق أيضًا بكيفيّة تحديد الفترة الزّمنيّة في تأويل مؤشّر زمني مثل (الآن) أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم (محمّد) مثلا"[57]. فالمتلقّي مدعوّ إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معيّن لقول ما"[58].

3-6**مبدأ التّشابه**[*]: يواجه المتلقي النصّ بما يمتلكه من تجارب، وما يكتسبه من خبرات تساعده على فهم النصّ، ومبدأ التّشابه من هذا المنوال يمثّل "إحدى الأدوات الأساسية التي تمكّن السّامعين والمحلّلين من تحديد فهمهم داخل السّياق، فهم يفترضون أنّ كلّ شيء سيبقى على ما كان عليه ما داموا لم يعطوا إشعارًا خاصًّا بتغيير إحدى الخصائص"[59].التي تنتمي إلى خطاب معيّن، وتحدّد نوعيّته.

نميّز بين المبدأين؛ مبدأ التّأويل المحلّي ومبدأ التّشابه، بما أنّهما ليسا من قبيل واحد: فالأوّل يتعلّق بوجه من وجوه ظاهرة التّأويل والفهم ذاتها، أمّا الثّاني فيتعلّق بإحدى الطّرق التي يتحقّق بها، فأحدث ذلك تضاربًا في التّصنيف، زاد منه إقامة الأوّل على الرّوابط النّصيّة والتّجارب السّابقة وإقامة الثّاني على المعارف النّصيّة الحاصلة ممّا تجمّع للسّامع من سابق معرفة بالنّصوص"[60]. وبالتّالي فهذان المبدآن، يكوّنان أساس فرضية الانسجام في تجربتنا الحياتيّة عمومًا، وفي تجربتنا مع الخطاب كذلك.

ولعلّ الأنسب أن يكون المدخل للحديث عن هذا الضّرب من الفهم والتّأويل تقابلاً بين سابق حاصل وحاضر، تقابل يمكن أن تجري في ثلاثة مجالات أو مستويات:

- ✓ مستوى نصّ الخطاب المقصود تأويله، وفيه جزء سابق وجزء حاضر: وللسّابق المتقدّم منه دورًا في قيام التّأويل المحلّي.
- ✓ مستوى التّجارب الحاصلة للمستمع، وفيها من المعطيات ما يعتمد عليه في تأويل نصّ الخطاب التّأويل المحلّي المناسب.
- ✓ مستوى المعرفة النصّيّة، وفيها يجد المستمع أيضًا منَ المعطيات ما يعتمد عليه في تأويل نصّ الخطاب التّأويل المناسب، وإنْ كان هذا الضّرب من التّأويل قد لا يوافق تأويل جزء ضيّق من نصّ الخطاب"[61]. باعتبار أنّ التّشابه عمليّة ذهنيّة ينجزها المتلقي في جميع الحالات التي تتعلّق بالرّوابط النّصّيّة والتي لها صلة بالمعارف المكتسبة.

4-6مبدأ التّغريض: للتّغريض "علاقة وثيقة مع موضوع الخطاب ومع عنوان النّصّ"[62] والموضوع في أيِّ خطاب يمثّل النقطة الأساس التي يركّز عليها المبدع أيّما تركيز لأنّها تجذب انتباه المتلقي بدرجة فعّالة، وهو يشكّل الوسيلة الأولى لمبدأ

التّغريض، باعتباره "نقطة بداية قول ما"[63] فالعنوان في هذه الحال يساعد المتلقّي على أن يفهم بقيّة النّصّ ويؤوّله أيضًا، انطلاقًا من الجملة الأولى التي "تشكّل جزءًا من تعليمات تتطوّر وتتراكم لتعلّمنا كيف نبني تصوّرًا مترابطًا للخطاب"[64]. حيث يجعله منطلقًا لتحديد المبدأ الذي صيغ من أجله.

2- عمليات الانسجام:

1-7**المعرفة الخلفيّة:** تحمل المعرفة معانٍ كثيرة لكنّ المتعارف عليه هو مدى ارتباطها بمفهومين: "علمي إبستيمولوجي (معرفي) خاصّ وثقافيّ عامّ، فهي بالأوّل جملة المعارف والمعلومات الثّابتة الصّحيحة التّي كانت البرهنة عليها في مختلف المجالات والعصور. أمّا المعرفة في المفهوم الثّقافيّ العامّ فهي كلّ ما يمثّل معتقدات الفرد أو المجموعة في جميع مظاهر الفكر والحياة في علاقة الفرد بمحيطه البيئيّ أو الاجتماعيّ وفي علاقته بالكون وبما يسعه، من معتقدات"[65]. فالمعرفة التي "نملكها كمستعملي لغة ما عن التّفاعل الاجتماعيّ عن طريق اللّغة ليست سوى جزء من معرفتنا الاجتماعيّة الثّقافيّة العامّة. [66].

والمتلقي لا يستقبل الخطاب دون زاد، و"إنّما يتلقاه وقد حصلت لديه جملة من المعارف هي التي سمّيت بالمعرفة الخلفيّة"[67]. التّي تقوم بدور بارز في "إنتاج النّصّ كما أنّها ضروريّة لاستقباله، إذ أنّ الوسيلة الأساسيّة للحصول على المعرفة هي الحواس، فالمتلقي يتّخذ حواسه هادية له، وخصوصًا سمعه وبصره"[68]. ونرى في ذلك دور المعرفة الخلفيّة من خلال الإبداع والتّحليل، فالمبدع ينطلق في إنتاج خطابه من معارف متباينة، "يمكن أن تنتظم في ثلاثة أنظمة معرفيّة هي:

– معرفة لغويّة.

– معرفة موضوعيّة أو موسوعيّة.

– معرفة تفاعليّة، تشمل معرفة إنجازيّة وكذلك معرفة عن معايير اتّصالية ومعرفة ما وراء اتّصاليّة بوصفها معرفة خاصّة بضمان الفهم والحيلولة دون معارضات الاتّصال ومعرفة عن أبنية النّصّ الكليّة وأنواعه"[69].

وهذا ما دفع "بالدّراسات النّفسانيّة الجديدة المتجلّيّة فيما يسمّى بعلم النّفس المعرفيّ والدّراسات العلمية المعاصرة مثل الذّكاء الاصطناعي، تقدّم نظريّات ومفاهيم تجعل المبدع والمحلّل

خاضعين لنفس العمليّات الذّهنيّة التي تحكمهما معًا. وتلك النّظريّات والمفاهيم هي: نظريّة الأطر، والمدوّنات، والخطاطات، والسّيناريوهات، والنّماذج الذّهنيّة، وقد تفرّع عنها مفاهيم أخرى مثل المشهد والدّيكور وغيرهما[70].

2-7**مجالات المعرفة الخلفيّة:** المعرفة الخلفيّة منظّمة بطريقة ثابتة مشكّلة بذلك كتلة من المعارف، مما يجعل "عمليّة فهم الخطاب أساسًا عمليّة استرجاع المعلومات المخزّنة في الذّاكرة، وربطها بالخطاب الذي نتعامل معه. ونتيجة لذلك فقد أخذ منحى البحوث في هذا المجال منعطفًا مهمًّا نحو البحث عن أفضل مفهوم للتّخزين، قادر على معالجة المعلومات المعروفة الموجودة مسبقًا في الذّهن، مثل مفهوم الأطر والمخطّطات اللذين اقترحتهما دراسات الذّكاء الاصطناعيّ عن كيفيّة تنظيم المعلومات في الذّاكرة؛ ومثل مفهوم السّيناريو والهياكل، ممّا أسهمت به الأبحاث في مجال علم النّفس عن كيفيّة تخزين المعلومات عن العالم في ذاكرة الإنسان، وكيفيّة تنشيطها في عمليّة فهم الخطاب"[71].

قد أدمجت نظريّات إعلاميّة ومعلوماتيّة ونفسانيّة وبيولوجيّة فيما يصطلح عليه بالذّكاء الاصطناعيّ، إذ بالغت هذه النّظريّة

التّوليفيّة في المشابهة بين الذّاكرتين: ذاكرة الكائن الإنسانيّ، وذاكرة الحاسوب، ونتيجة لهذا، فقد تمّ اللّقاء بين الدّراسات اللّسانيّة النّفسانيّة واللّسانيات الحاسوبيّة وإجراءات الذّكاء الاصطناعيّ من خلال محاولات تطبيقيّة لفهم و/أو توليد النّصوص في اللّغة الطّبيعية، ولإعادة إنتاج الأقوال وفهمها، بل لإظهار الآليات اللّغويّة وعمليّات إعادة الإنتاج. ورغبة في محاولة لضبط السّلوك الإنسانيّ وغيره صيغت نظريّات ومفاهيم مثل: الشّبكة الدّلاليّة (réseau sémantique)، الأطر (cadres) ، والمدوّنات (Scripts) السّيناريوهات (scénarios) والخطاطات (schémas) والنّماذج الذّهنيّة (modèles mentaux)[72].

– **الشّبكة الدّلاليّة (Réseau Sémantique):** الشّبكة الدّلاليّة هي شبكة ذات علاقات دلاليّة بين المفاهيم، وغالبًا ما تستخدم كقالب لتمثيل المعرفة، إذ هي "وسيلة استدلاليّة لإثبات العلاقة بين جمل النّصّ ممّا يؤدّي إلى تنظيمه وملء فراغه"[73] لتكوّن بعد ذلك شبكة حقيقية للمعلومات، "فإنّ جملة المعنى بالنّسبة للمفهوم تُدرك بالوقوف عند مركز ضبطه في شبكة ما، ثمّ النّظر إلى خارج المركز على طول ارتباطاته العلائقيّة في هذه المساحة المعلوميّة

وينشأ التّفاعل بين الكلمات السّطحيّة من هذا الارتباط ذاته"[74] ارتباط يجمع بين علاقات الكلمة وانسجامها.

وتعدّ الشّبكة الدّلاليّة "وضعيّة لا تتيح خلق مماثلات للجمع بين عقدتين أو مجالين مختلفين ولكنّه إذا احتكم إلى دور المفهوم في السّياق اللّغويّ وفي السّياق الثّقافيّ"[75]. بما أنّها شبكة ذات مهمّات كثيرة، من بينها "تقديم العُروض كالذّاكرة الاستدعائيّة مثلاً، وكإزالة اللّبس عن الكلمات وكفهم الحوار، وكالإدراك الحسّيّ، والأسماء المركّبة، والإجراءات الإبداعيّة، وغير ذلك. هذا التّنوع رشح الشّبكة بقوّة أن تكون صورة شكليّة (formalisme) النّماذج المتماسكة والمتفاعلة في الاتّصال"[76].

- **الأطر (les cadres)**: الأطر "أشكال معينة للتّنظيم بالنّسبة للمعرفة المحدّدة عرفيًّا التّي نمتلكها عن العالم، مثل التّنزه، حفلات أعياد الميلاد، السّفر بالقطار، التّسوّق...الخ"[77]. كما أنّها تمثّل "عرض معيّن من خلاله تنظيم العناصر الخاصّة بمفهوم أساسيّ ما؛ فهو مجموعة جمل لها مفهوم (thème) واحد. وهو يرتبط بوصف كيان الشّيء. مثال: إطار (البيت): شبكة من المداخل والأبواب والنّوافذ"[78].

فهي" تنظيم للمعرفة ضمن مواضيع مثاليّة (prototypes) وأحداث قالبيّة (stereotypes) ملائمة لأوضاع خاصّة. ومعنى هذا أنّ الذّاكرة الإنسانيّة تحتوي على أنواع من المعارف المنظّمة في شكل بنيات. وحينما يواجه الإنسان سلوكٌ أو حدثٌ أو يريد أن يقوم به أو يفعله فإنّه يستمدّ من مخزون ذاكرته أحد أجزاء البنية لتأويل ما وقع أو لإنجاز ما يريد"[79].

- **المدوّنات (les Scripts):** تختصّ المدوّنات "بأنساق التّعاقب الحدثيّ"[80] ممّا يعني أنّها "تتابع تقليديّ للأحداث المخزّنة في الوعي، أو تعاقب الأحداث التّي تتكّرر كثيرًا، مثل (زيارة مطعم، زيارة طبيب،...الخ)؛ أي أنّها تعنى الأحداث المميّزة لسياق معيّن، بينما يعامل الإطار على أنّه مجموعة منَ الحقائق بشأن العالم"[81]، فكلّ منَ المدوّنات والأطر توحي بتطابق بينهما، لذا "نجد بعض المؤلّفين يجمعونهما في تعريف واحد: الأطر والمدوّنات تنظّم المعرفة ضمن مواضيع.. ويجعلون مكوّناتها واحدة[82].

فالمدوّنات تتّسم بأنّها أكثر برمجة من حيث كونها تضمّ نسقًا قياسيًّا من الوقائع جاءت في وصف ظرف معيّن. وكما هو الحال في الأطر، تصلح هذه المدوّنات في تكوين قدر كبير من توقّع

وتوزيع المعلومات لدى السّامع عند فهم النّصّ[83]. فهي "توجيهات مسوقة للمشاركين بالنّسبة إلى ما ينبغي لهم أن يقولوا أو أن يفعلوا في أداء الأدوار التي يقومون بها على التّرتيب. وهي بذلك مشروعات تتميّز بالتّعارف الاجتماعيّ"[84].

- **الخطاطة (le schéma)**: تمثّل الخطاطة نمطًا من أنماط "تجريديّة يكون بها تنضيد المعارف عند النّاس ما تعلّق منها بالمعهود المتداول منَ الأعمال والأشياء والأحداث من قبيل البيع والشّراء أو تناول الطّعام في مطعم أو صعود في الحافلة وما إلى ذلك"[85]. فيما يخصّ الصّور الذّهنيّة التي تمثّل أساس قيامها، إذ هي "توالٍ للعناصر عندما ترد أثناء التّنفيذ، فهو إذًا إطار موضوع في ترتيب تتابعيّ.

مثال: مشروع (بيت): تعاقب تجميع أجزاء البيت أو كيفيّة تحرك النّاس فيه. وهكذا يكون المشروع أكثر ارتباطًا من الإطار بالتّتابع في رتبة التّنفيذ، كما يرتبط بتتابع الأحداث وترتيبها الزّمني المفهوم بصورة مطّردة"[86]. وتقودنا هذه الخطاطة لما اقترحه كلّ من براون ويول: "الصّورة العامّة التّي نجدها عنِ [الخطاطة] في إطار تحليل الخطاب أضعف بكثير فبدلًا من اعتبارها قيودًا حتميّة

تحدّد كيفيّة فهمنا للخطاب، يمكن اعتبارها بمثابة الخلفيّة المعرفيّة المنظّمة التي تقودنا إلى أن نتوقّع أو نتنبّأ بمظاهر معيّنة في تأويلنا للخطاب"[87].

- **السّيناريوهات (les scénarios):** ارتبط السّيناريو بالتّداوليّة، ولا بدّ من تمييزه عن باقي العلميّات الخاصّة بالانسجام إذ يمكن أن نعرفه انطلاقًا من تعريف منسكي "الذي جعل منه حصيلة الامتدادات الممكنة، المحدّدة اصطناعيًّا، أو طبيعيًّا، أو ثقافيًّا، والمتعلّقة بالأفعال والسّلوكات المرتبطة بعمل ما"[88].إلّا أنّ هذا التّعريف يبدو أنّه بعيد عن التّمظهرات الأساسيّة لمفهوم السّيناريو الذّي نقصد معالجته، فالذّي يهمّنا في هذا المقام، يتمثّل في السّيناريو الثّقافيّ المرتبط بمقامين: "في المقام الأوّل، يرتبط أساسًا بالموسوعة الثّقافيّة، وثانويًّا بالموسوعة الفرديّة"[89].

نجد أنّ مصطلح السّيناريوهات في مجاليّ علم النّفس وعلم اللّغة الإدراكيّ يفهم من خلال "التّتابعات المقولبة للفعل المختزنة في الوعي، وهي ما تسمّى كتب الأدوار لإنجاز تتابعات الأفعال التي تتكرّر كثيرًا. فحسبما يكون التّرتيب محدّدًا تحديدًا صارمًا أو غير ذلك يفرّق المرء بين سيناريوهات قويّة (زيارة مطعم، زيارة

طبيب) وسيناريوهات ضعيفة (أشكال التّسوّق). بشكل عام تقوم السّيناريوهات – كما كانت الحال مع المخطّطات – بوظيفة نماذج كليّة ليس لإنجاز الأفعال فقط، بل لتكوين مواقف التّوقع وعمليّات الإلحاق لدى السّامع عند فهم النّصّ أيضاً. ومن هنا يمكن لكثير منَ الأفعال المفردة التي لم توضّح في نصّ ما أن يتفهمها السّامع بسهولة بإلحاقها بسيناريو"[90].

وقد استعمل سانفورد (Sanford) وجارود (Garrod) مصطلح السّيناريوهات "للحديث عن المجال المرجعيّ الموسّع الذي نعود إليه في تأويل النّصوص المكتوبة، إذ نستطيع أن ننظر إلى معرفتنا بالظّروف المحيطة والمواقف على أنّها تمثّل السّيناريو الذي يكمن وراء تأويلنا للنّصّ وهما يهدفان من ذلك إلى تأكيد صلاحيّة نظريّة السّيناريو لأنّ تمثّل نظريّة نفسيّة تقابل نظريّة كنتش (Kintsch.w) القائمة على عامل الإخبار"[91]. فكلا النّظريتين لا تختلفان "مادامت الوضعيات الموصوفة جاهزة في السيناريوهات، وهي تتضمّن أيضًا فراغات تتعلّق ببعض العناصر المشكّلة للوضعيّة والتّي يسهّل على القارئ ملؤها بمجرّد تنشيط سيناريو مرتبط بهذه الوضعيّة أو تلك"[92]. ويصل الباحثان إلى نتيجة مفادها أنّ "نجاح

عمليّة الفهم القائمة على السّيناريو يعتمد على درجة النّجاعة التّي يحقّقها صاحب النّصّ في تنشيط السّيناريو المناسب"[93].

- **النّماذج الذّهنيّة (modèles mentaux):** تجري في الانثروبولوجية المعرفية مصطلحات بديلة للخطاطة من قبيل المدوّنة أو السّيناريو أو النّموذج الثّقافيّ وهو أكثرها رواجًا، وقريب من هذا النّموذج المعرفيّ المثاليّ عند لايكوف. ويجري تعريف النّماذج الثّقافيّة على أنّها نماذج في تصوّر العالم والتّجربة، ضمنيّة مسلّم بها مشتركة بين أفراد مجموعة بشريّة ما توجّه تمثّل أفرادها لذلك العالم وسلوكهم فيه، ولا يتمثّل إنتاج الخطاب أو فهمه في مجرّد الرّبط ما بين المعاني والكلمات أو الجمل أو المقاطع في الخطاب وإنّما هو إقامة لنماذج متعلّقة بما هو موضوع للخطاب[94].

فالنّماذج الذّهنيّة التي اقترح نظريّتها جونسون – ليرد (Johnson-Laird) للنّظر في كيفيّة تأويل الخطاب ممّا دفعه إلى "التّغلّب على أوجه محدودية منطلقات الأطر، إذ توسّع فيها الأبنية العامّة لمعرفة العالم إلى نماذج أفعال شاملة بالاشتمال على مكوّنات نمطيّة لمواقف اجتماعيّة وأدوار اجتماعيّة للفاعلين. وتنظّم

أبنية المعرفة في الذّاكرة حسب هذه الفرضيّة على نحو ما يحتاج إليها وتفعل أدواتها. ومن ثمّ لا يفترض فيها أوجه تمثيل للأفراد والتّصورات، وأشكال التّطابق بينها فحسب، بل علاقات الزّمان والمكان"[95]. التّي تقوم عليه مضامين الذّاكرة التي يستحضرها المتلقي في ما يلحق من الأزمنة عن زمن التّلقي (سماعا أو قراءة) كما تمثّل أسًّا تقوم عليه عمليات التّعلّم بما فيها من اكتساب لتجارب جديدة ومهارات حادثة ومواقف لم تكن لصاحبها أو تحويرًا لما كان من المواقف والأفكار، وعليها كذلك تقوم الإيديولوجية عامة[96].

ويرى في ذلك جونسون- ليرد أنّ توظيف المفردة ضمن جملة هو بمثابة "الإشارات إلى بناء نموذج ذهنيّ مألوف والنّموذج الذّهنيّ عبارة عن تمثيل يتّخذ شكل نموذج داخليّ لواقع الأمر كما تعرضه الجملة. ومن الواجب أن نلاحظ أنّ تلك النّماذج على الرّغم من أنّها لا توصف بأنّها نمطيّة، فإنّ عبارة "مألوف" تتسلّل إلى وصفنا لها دون أيّ تفسير لما يتضمّنه معنى تلك العبارة[97].

الهوامش

[1]- ينظر: حسام أحمد فرج ، مرجع سابق، ص81.

[2]- داليا أحمد موسى، الإحالة في شعر أدونيس، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2010. ص81.

[3]-داليا أحمد موسى، مرجع سابق، ص82.

[4]- أحمد عفيفي، مرجع سابق، ص117.

[5]- نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب، مرجع سابق، ص46.

[6]- الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1993. ص117.

[7]- محمد خطابي، مرجع سابق، ص19.

[8]- عزة شبل، مرجع سابق، ص122.

[9]- عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط3 1995. ص340.

[10]- المرجع نفسه، ص342.

[11]- الأزهر الزناد، نسيج النص، مرجع سابق، ص118.

[12]- مفتاح بن عروس، مرجع سابق، ص168.

[13]- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية، مرجع سابق، ص107.

[14]- ينظر: عزة شبل محمد، مرجع سابق، ص118.

[15]- محمد خطابي، مرجع سابق، ص23.

[16]- كريستن آدمستيك، لسانيات النص عرض تأسيسي، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1 2009. ص299.

[17]- صبحي إبراهيم الفقي، ج1، مرجع سابق، ص262.

[18]- عزة شبل، مرجع سابق، ص111.

[19]- محمد خطابي، مرجع سابق، ص23.

[20]- مصطفى صلاح قطب، علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2014. ص189.

[21]- حسام أحمد فرج، مرجع سابق، ص90.

[22]- مصطفى صلاح قطب، مرجع سابق، ص189.

[23]- حسام أحمد فرج، مرجع سابق، ص96.

[24]- محمد خطابي، مرجع سابق، ص24.

[25]- أحمد عفيفي، نحو النص، مرجع سابق، ص123.

[26]- المرجع نفسه، ص123.

[27]- المرجع نفسه ، ص124.

[28]- عزة شبل، مرجع سابق، ص114.

[29]- المرجع نفسه، ص115.

[30]- محمد الأخضر الصبيحي، مرجع سابق، ص92.

(31)- حسام أحمد فرج، مرجع سابق، ص106.

(32)- عزة شبل محمد، مرجع سابق، ص105.

(33)- المرجع نفسه، ص105.

(34)- محمد خطابي، مرجع سابق، ص24.

(35)- ينظر: سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2010. ص242.

(36)- عيسى جواد فضل الوداعي، "التماسك النصي في الدرس اللغوي" المؤتمر الدولي الأول، لسانيات النص وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة، الأردن - عمان، مج1، ط1، 2013. ص364.

(37)- عزة شبل محمد، مرجع سابق، ص106.

(38)- عيسى جواد فضل الوداعي، مرجع سابق، ص364.

(39)- عزة شبل محمد، مرجع سابق، ص107.

(40)- المرجع نفسه، ص107.

(41)- صبحي إبراهيم الفقي، ج2، مرجع سابق، ص21.

(42)- المرجع نفسه، ص22.

(*)- (collocation) نجد لهذا المصطلح ترجمات مختلفة، من بينها: 1- (التضام) عند محمد خطابي في كتابه "لسانيات النص". 2- (المصاحبة) عند كلّ من: أ- محمد العبد في كتابه "إبداع الدلالة في الشّعر الجاهلي، ب- محمد حسن عبد العزيز في كتابه "المصاحبة اللغوية في التعبير اللغوي". 3- (الرصف) عند أحمد مختار عمر في كتابه "علم الدلالة".4- (توافق في الموقع) عند تمام حسان في كتاب دي بوجراند "النص والخطاب والإجراء".

(43)- محمد خطابي، مرجع سابق، ص25.

(44)- حسام أحمد فرج، مرجع سابق، ص111.

(45)- عزة شبل محمد، مرجع سابق، ص109.

(46)- بالمر.ف.ب ، مرجع سابق، ص118.

(47)- عزة شبل، مرجع سابق، ص110.

(48)-عزة شبل، مرجع سابق، ص110.

(49)- رحمان غركان، مرايا المعنى الشعري، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ومؤسسة دار الصّادق الثقافية، العراق ط1، 2012. ص392.

(*)- الانسجام: عند محمد خطابي في كتابه لسانيات النص، ص05، وعند بحيري (التماسك) في كتابه علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ص 140، أمّا تمام حسان قد ترجمه بـ(الالتحام) في كتاب النص والخطاب والإجراء الذي ترجمه عن دي بوجراند، ص59، وعند سعد مصلوح(الحبك) في كتابه نحو أجروميّة للنصّ الشعري، (الارتباط) عند مصطفى حميدة في كتابه الارتباط والربط في تركيب الجملة، ص43، و(التّقارن) عند إلهام أبو غزالة وحلمي في كتابهما مدخل إلى علم لغة النص، ص11.

(50)- حسام أحمد فرج، مرجع سابق، ص127.

(51)- دي بوجراند، مرجع سابق، ص103.

(52)- فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب دار نيوى للدراسات والنشر والتوزيع دمشق، 2011. ص20.

(53)- ينظر: جوليان براون وجورج يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود الرياض، ط1، 1997. ص48.

(54)- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، مرجع سابق، ص45.

(55)- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، 2002. ص 111.

(56)- محمد بازي، التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010. ص21.

(57)- محمد خطابي، مرجع سابق، ص56.

(58)- براون ويول، مرجع سابق، ص 71.

(*)- نجد هذا المصطلح عند محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي يعبّر عنه بمبدأ القياس، ونحن آثرنا ما استعمله محمد خطابي مبدأ التشابه.

(59)- براون ويول، مرجع سابق، ص78.

(60)- محمد الشاوش، ج1، مرجع السابق، ص170.

(61)- محمد الشاوش، ج1، مرجع سابق، ص170.

(62)- محمد خطابي، مرجع سابق، ص 293.

(63)- براون ويول، مرجع سابق، ص147.

(64)- براون ويول، مرجع سابق، ص 155.

(65)- الأزهر الزناد، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، دار محمد علي للنشر، تونس، مركز النشر الجامعي، تونس، ط1، 2011. ص 77.

(66)- براون ويول، مرجع سابق، ص278.

(67)- محمد الشاوش، مرجع سابق، ج1، ص175.

(68)- محمد مفتاح، تنظير وانجاز، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2006. ص 47.

(69)- فولفجانج هايمنه مان وديتر فهفجر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، ط1، 2004. ص125.

(70)- محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، مرجع سابق، ص24.

(71)- عزة شبل محمد، مرجع سابق، ص198.

(72)- ينظر: محمد مفتاح، دينامية النص، مرجع سابق، ص26.;

(73)- محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال للنشر المغرب، ط 1، 1990. ص 66.

(74)- دي بوجراند، مرجع سابق، ص184.

(75)- محمد مفتاح، مجهول البيان، مرجع سابق، ص68.

(76)- دي بوجراند، مرجع سابق، 185.

(77)- عزة شبل محمد، مرجع سابق، ص199.

(78)- حسام أحمد فرج، مرجع سابق، ص158.

(79)- محمد مفتاح، مجهول البيان، مرجع سابق، ص68.

(80)- براون ويول، تحليل الخطاب، مرجع سابق، 288.

(81)- عزة شبل محمد، مرجع سابق، ص199.

(82)- محمد مفتاح، مجهول البيان، مرجع سابق، ص70.

(83)- عزة شبل محمد، مرجع سابق، ص 199.

(84)- حسام أحمد فرج، مرجع سابق، ص158.

(85)- الأزهر الزناد، النص والخطاب، مرجع سابق، ص117.

(86)- حسام أحمد فرج، مرجع سابق، ص158.

(87)- بروان ويول، مرجع سابق، ص296.

(88)- عبد اللطيف محفوظ، المعنى وفرضيات الإنتاج مقاربة سيميائية في روايات نجيب محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008. ص72.

(89)-المرجع نفسه، ص 73.

(90)- فولفجانج هاينه مان وديتر فهفجر، مرجع سابق، ص75.

(91)- براون ويول، مرجع سابق، ص293.

(92)- محمد خطابي، مرجع سابق، ص 66.

(93)- براون ويول، مرجع سابق، ص294.

(94)- ينظر: الأزهر الزناد، النص والخطاب، مرجع سابق، ص141.

(95)- فولفجانج هاينه مان وديتر فهفجر، مرجع سابق، ص75.

(96)- ينظر: الأزهر الزناد، مرجع سابق، ص141.

(97)- براون ويول، مرجع سابق، ص300.

المحاضرة الحادية عشر: قضايا لسانيات النص 3

- **تصنيف النصوص**

بذلت محاولات جادة في تصنيف النصوص وتبيان التداخل الموجود بينها، وبين خصوصياتها شكلا ومحتوى. فمن الباحثين من أولى اهتماما بالشكل وآخر بالمحتوى، ومن ثم اتجه إلى التركيز على عاملين، أحدهما؛ داخلي نصي أو والآخر؛ خارجي نصي، وقد لوحظ إلى ضرورة التوفيق بينهما لدى بعض الاتجاهات النصية.

فبنية النص تتأثر بنوعيته، وهو جماع عمليتين إنتاجيتين متكاملتين: العملية الأولى؛ تتعلق بالظرف السياقي أو بما تقتضيه الإطار العام للنص. والعملية الثانية: تتعلق بمكونات النص الداخلية من جمل وكيفية تتابعها وفق الأسس التي يقتضيها الإطار العام للنص.[1]

والنصوص تتأسس بناء على تفاعل ثلاث طبقات تقوم عليها، الطبقة التواصلية، الطبقة التداولية، الطبقة السيميائية، وجميعها

[1] – بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2007، 103.

تتعاون من خلال تعليمات السياق الكبرى لتصبح حقيقة ملموسة من خلال تعليمات السياق الصغرى التي تُعرّف المعنى السياقي للنص، ويمكن وصف النص، أولا؛ تواصليًّا من زاوية المتحدث أو من زوايا المتغيرات الأخرى التي تتمثل في: المجال، والكيفية، ورسمية الخطاب أو عدم رسميته، وثانيًّا؛ تداوليًّا بتحديد العلاقة بين الخطاب ومستخدميه، وتتأثر هذه الطبقة بالعالم الواقعي، لمعرفة مستخدمي الخطاب بواقعهم وما يريدونه من استخدام خطابهم الذي يقودهم إلى تقرير نوع الفعل الذي يضمّنونه البنية التركيبية والمعنوية للخطاب؛ وثالثًا؛ سيميائيًّا، اتفاق الناس على استخدام نظام العلامات الذي يدفع بهم إلى التفاهم فيما بينهم.

تنتج من جراء تفاعل الطبقات الثلاث مع بعضها بعضًا ما يمكن أن يشار إليه بـ "الإطار النوعي للنص" الذي يتشكّل في ثلاثة أنواع رئيسة هي:

1. **النوع السردي:** الذي يمكن تبينه في الكتابات الوصفية والقصصية والفكرية بصفة عامة.

2. **النوع الجدلي:** الذي يمكن أن يكون ظاهرًا كما هو الشأن في افتتاحيات الصحف أو غير ظاهر ويحتاج إلى تساؤلات لإيضاحه مثل الدعاية والإعلان ونحو ذلك.

3. **النوع الأمري:** الذي يخبر بكيفية التصرف في المستقبل.

والتمييز بين النوع والخطاب أمر ضروري لحل إشكالية ما يسمى بالنصوص المتداخلة، وهي النصوص التي لا تعتمد على إطار نوعي واحد كما هو الشأن في الرواية ، تداخل السرد والجدل والأمر.[2]

- **<u>إنتاج النص وتلقيه</u>**

يرى محمد مفتاح أنّ "النص مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة:

✓ **مدونة كلامية:** يعني أنه مؤلف من الكلام وليس صورة فوتوغرافية أو رسماً أو عمارة أو زياً وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائها وهندستها في التحليل.

[2] – يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1990، ص 107.

✓**حدث:** إن كان نص هو حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي.

✓**تواصلي:** يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب ... إلى المتلقي.

✓**تفاعلي:** على أن الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للنص اللغوي أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها.

✓**مغلق:** ونقصد انغلاق سمته الكتابية الأيقونية التي لها بداية ونهاية، ولكنه من الناحية المعنوية هو:

✓**توالدي:** إن الحدث اللغوي ليس منبثقاً من عدم وإنما هو متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية... وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له"[3].

كما نجد أن الخطاب/النص من منظور كلاوس برينكر يتميّز باتجاهين: اتجاه يقوم على أساس النظام اللغوي الذي يكمن هدفه

---

[3]– د. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص –، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2 1986. ص 120.

في اكتشاف تلك المبادئ العامة ووصفها وصفاً منظماً وهو يرجع في ذلك سواء من الناحية النظرية– المفهومية أو المنهجية إلى حدّ بعيد إلى تحديدات لسانيات الجملة ذات الأصل البنيوي أو التوليدي – التحويلي. ويعبر عن هذا الترابط بوضوح خصوصًا في مفهوم النص: فيعرف بأنه تتابع متماسك من الجمل، واتجاهٌ ثانٍ وجّه على أساس نظرية التّواصل التي تدرس الوظيفة التواصلية للنصوص. وتحدّد الوظيفة التواصلية خاصية الفعل لأيّ نصّ؛ وهي تسم نوع الاحتكاك التواصلي، الذي يعبر عنه الباث (أي المتكلم أو الكاتب) بالنصّ صوب المتلقي (على سبيل المثال مبلِّغًا أو مستثيرًا إياه)؛ وهكذا فهي تهب النصّ "معنى" تواصليّاً معيّنًا.

إلاّ أنه يقترح مفهومًا آخر بإدماج الاتجاهين السابقين، على أن النص أصبح مفهومه الذي يمكّن من وصف النص على أنه وحدة لغوية وتواصلية في الوقت نفسه[4].

[4]– ينظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2005. ص22–27.

1- إنتاج الخطاب الأدبي:

الخطاب حسب النظرية النقدية المعاصرة نسق يتألف من مستويات متداخلة، يعتمد في تشكّله على لغة ذات مستويين: "مستوى نفعي تواصلي ومستوى فنّي جمالي، وفي المستوى الثاني توظّف اللغة توظيفاً جماليًّا تلعب فيه الصنعة الفنية دورا نشطاً لكي يصبغ النص بصبغة الأدبية وينطبع بطابع الجمالية ويرتدي لبوس الإبداعية"[5] ممّا يستدعي إحكام هذه الصنعة التي تمثّل عملية الإبداع الشعري، لأنّ "هدف الشّاعر هو تنظيم تجربته، وبالتّالي إعادة الاتزان إلى الأنا، إنّه يحمل التوتر الدافع، وهذا التوتر يكون في بداية العملية سطحيًّا لكنه كلما اقترب من نهايته ازداد عمقًا وثقلاً على الأنا، بحيث إنّ الأنا تصبح في قبضته"[6] ومن هنا يمكن لنا أن نقوم مقارنة بين مفهومي الأنا والذّات:

الأنا	الذّات
تعمل طبقاً لمبدأ الواقع	تقف على الواقع

---

[5]- حسين بوحسون، "الأدبية والتلقي "مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ع4، جوان 2013. ص 161.

[6]- عبد العزيز موافي، الرؤية والعبارة، مدخل إلى فهم الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010. ص 42.

إدراك العمليات العقلية إيجاد الصور الذّهنيّة

إشباع المتطلبات تقبل الرغبات [7]

ويرى في ذلك عبد العزيز موافي "أن العلاقة بين الأنا والذّات فيما يتعلق بالعملية الإبداعية، سوف تقودنا بالضرورة إلى بحث العلاقة بين الانفعال والوجدان، باعتبار أن التجربة الإبداعية تتميّز بأنّها تجربة انفعالية. وربّما كان انفعال الشّاعر بالتجربة هو أساس انفعاله بها في عملية التحويل الإبداعي، والذي يمر عبر مرحلتين أساسيتين:

فالذّات هي التي تقوم بدور الوساطة بين التجربة والمتلقي من خلال فعلي الممارسة ثم تحويل الانفعال إلى صور ذهنية.

أمّا **الأنا** – باعتبارها المسؤولة عن فعل الإعلاء – فإنها تقوم بدورها في تحويل الصور الذهنية إلى صور فنّية، تكون مشحونة بتجليات الانفعال التي تنتقل من الأنا إلى النصّ"[8].

فالنصّ الأدبي– إذن– يمثّل كلّ "بنية لغوية مفتوحة البداية ومعلقة النهاية، لأن حدوثه نفسي لا شعوري وليس حركة عقلانية،

---

[7]–عبد العزيز موافي، مرجع سابق، ص46.

[8]– المرجع نفسه، 47.

ولذلك فإن القصيدة لا تبدأ كما تبدأ أي رسالة عادية تصدر بخطاب موجه إلى المرسل إليه، وتختتم بخاتمة قاطعة التعبير. إن القصيدة تبدأ منبثقة كانبثاق النور أو كهطول المطر، وتنتهي نهاية شبيهة ببدايتها وكأنها تتلاشى فقط وليس تنتهي، ودائماً ما تأتي الجملة الأولى من القصيدة وكأنها مد لقول سابق أو استئناف لحلم قديم، إنها لكذلك. لأنها نص يأتي ليتداخل مع سياق سبقه فبي الوجود. وكذلك فالنص مفتوح وهو بنية شمولية لبنى داخلية: من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السياق إلى النص ثم إلى النصوص الأخرى ليكون بعد ذلك: (الكتاب امتداداً كاملاً للحرف)" [9].

فما العلاقة التي تكمن بينهما؟ رغم ما نلاحظه من تناقض بين كلية النصّ وانفتاحه. فالنصّ "كلّيٌّ في حركة مرحليّة فقط لأنه نصّ بنيوي، والبنية كما رأينا شموليّة / ومتحوّلة / وذات تحكم ذاتي / والنصّ يتحرّك داخليًّا بحركة مفعمة بالحياة كي يكوّن بنيته الوجوديّة ليكون له هويّة تميّزه"[10].

---

[9]– عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 4، 1998. ص92.

[10]–مرجع نفسه، ص 92.

ويمثل الشكل التالي دور المنتج والمتلقي في إنتاج النص من جراء التفاعل بينهما:

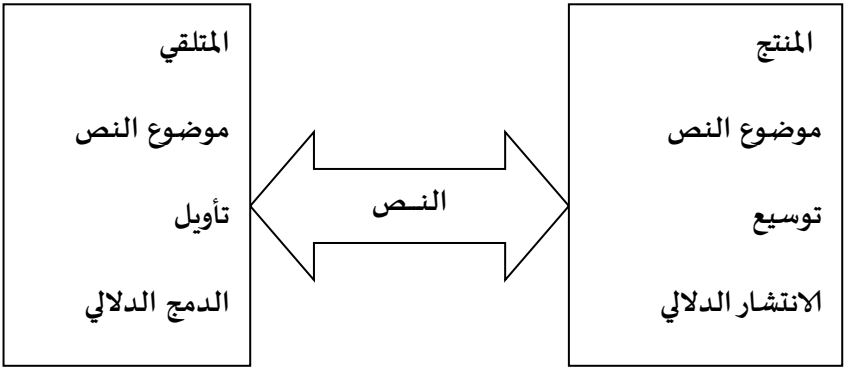

المحاضرة الثانية عشر نماذج القواعدية 1

أ-نحو النص عند ايزنبرغ

يحتوي نموذج ايزنبرغ على عوامل السياق، خاصة الوظيفة الاتصالية، فحسبه يشكل كل نصّ خمسة أضعاف الصيغة/ د، م، ش، إ، س/؛ حيث يدلّ الرمز "س" على البناء السطحي (البناء النحوي) والرمز "د" على البناء الأساسي الدلالي (بناء الخبر، المحتوى القضوي للنص). يتمثل الجديد لدى ايزنبرغ في فهم مصطلح الوظيفة الاتصالية فهمًا دقيقًا، إذ حدّده على أنه مركب يتكون من بناء المقصد(=م)، وبناء الشرط(=ش)، وبناء الإحالة(=إ).

وا ⟵ م، ش، إ

(حيث: وا= وظيفة اتصالية)

عرف ايزنبرغ الوظيفة الاتصالية لفظيًّا بأنها مجموع كل الصفات في الجملة الهامة لبناء النص، التي لا يمكن تقليصها إلى بناء دلالي أو معجمي أو نحوي أو مورفو- فونولوجي

فهو يصف بالتفصيل هذه الوحدات المركزية الثلاث في نموذجه كالآتي:

أبنية الشرط تسم ارتباط الحالة بالنصوص بالمعنى الضيق، أي الوحدات اللغوية التي تعود إلى أحداث سابقة غير لغوية أو مواقف(يتبع لذلك من خلال رؤية هذا النموذج أيضا إشكالية الاقتضاء). أبنية الإحالة تحيل إلى السياق اللغوي(إعلانات، توقعات، عوائد). أمّا الاهتمام الأكبر فينصب بلا شكّ على أبنية المقصد ومعها مرة أخرى "الأخبار الاتصالية": القول، مثل: الادعاء..؛ إظهار البيان، أحداث لغوية مقننة اجتماعيا، مثل: الشكر، التهنئة،...؛ التفويض، الوعد، التهديد،..؛ التصحيح، النفي..؛ الإقرار، أحداث لغوية ذات نتائج اجتماعية، الإهداء، الاستقالة، الافتتاح..؛ الإعلان، الرثاء، المدح..؛ التسبب، الرجاء، الأمر..النداء، الطلب الملح الموجه إلى السامع بأن يتبع معايير معينة..، ردّ الفعل، الجواب..، النقض، حلّ التعقيدات.

تكمل هذه الأخبار من "صيغة الاتصال" بأخبار من "صيغة المعلومة" (التي تعود إلى أبنية النظائر في النصوص، مثل: الإبلاغ، الإقرار..) أو "صيغة التوضيح"(تحدد بواسطتها تعابير معينة من إمكانات التلفظ) أو "صيغة الربط" (يتضح فيها ارتباط

الوظائف الاتصالية أو القضايا بوحدات معينة من البناء السطحي)، وغيرها من الصيغ المكملة. على هذا النهج طوّر ايزنبرغ – بإضافة "شروط مثالية التعبير" لتكوين النص وأيضا" قواعد الربط الدلالية والنحوية" – نسقًا مستقلاً من العلاقات بين أبنية النص وأبنية السياق، غير أنه ما زال معتمدًا على الأحداث اللغوية المفردة ("الأحداث المفروضة") حيث تؤدي مبادئ "تعاقب مكونات النص" دورًا ثانويًّا.

الصفات الجوهرية في كليات النص يراها غيزنبرغ في السمات الآتية:

1- الشرعية الاجتماعية (النصوص هي " بيانات العمل الاجتماعي")؛

2- الوظيفية الاتصالية(النصوص هي الوحدات التي ينتظم فيها الاتصال اللغوي)؛

3- الدلالية؛

4- مرجعية الموقف؛

5- المقصدية؛

6- مثالية التعبير؛

7- مثالية التركيب.[1]

[1]) فولفجانج هاينه من وَديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بين شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة السعودية، 1999، ص59.

المحاضرة الثالثة عشر نماذج القواعدية 2

ب- **الوصف النصي ذو الاتجاه الدلالي:**

تشتق وحدة النصوص في النماذج القواعدية من إشارات معينة في البناء السطحي، بينما يضع لغويون آخرون أبنية القاعدة الدلالية في مركز دراساتهم. ويوردون حجتهم في ذلك، بأنه في البناء السطحي تنعكس أجزاء من معنى النص، وليس كل المعلومات الدلالية، ما يعني أن وحدة أي نصّ لا يمكن أن توجد بشكل كاف إلا بمراعاة بناء القاعدة الدلالية، أما وسائل الربط التركيبية فتصلح بعكس ذلك وسائل إضافية، أو إشارات اختيارية تسهل على السامع أن يتعرف على بناء القاعدة الدلالية في النصوص وفهم ذلك البناء.

(1) روبرت إسول لا يحب البرقيات.

هو لا يكاد يتذكر واحدة بمضمون طيّب.

بمساعدة التصورات السطحية المذكورة أعلاه (نماذج الإضمار ونموذج توجيه الاتصال بمساعدة الإشارات ونموذج تدرج النص) يمكن إثبات تبعية الجملتين في المثال (1) لبعضهما البعض دون

مشقة. لكن الأشياء المنعكسة هنا ("القضية" = ض، الباب الثاني حول ذلك بالتفصيل) تبقى في مثل هذا التناول غير مشمولة:

ض1: إسول لا يحب البرقيات ،/~ محبة(إسول، بريقيات)

ض2: إسول لا يستطيع أن يتذكر "س"،~ استطاعة التذكر (إسول، س)

حيث "س": برقية فيها

مضمون طيب لإسول. طيب (برقية، إسول)

يمكن أن نتعرف في الإجراء القواعدي على العلاقة الفعلية بين القضايا المكونة للنص، أي حقيقة أن القضية الثانية إيضاح ذاتي، أو تعليل للشيء، المعبر عنه في الجملة الأولى. هذا السياق الدلالي (= الربط العضوي) يجب إعادة تمثيله في التوضيح التالي عبر الرابط "لأن":

ض1 لأن ض2

العلاقة الدلالية بين القضيتين يمكن أن تجعل أكثر وضوحا في البنية السطحية، مثلا عبر أدوات الوصل "لأن" أو" حيث":

ض1 لأن ض2

ض1 حيث ض2 (مع تغيير في البناء).

والنتيجة في ذلك أنه يجب أن نفهم بناء القاعدة الدلالية للنصوص، إذا أريد تحديد كليات عناصر النصوص وتبعيتها بعضها لبعض، أي تناسق النص. فقد عبّر هاليداي/ رقية حسن عن ذلك بما يأتي: أفضل ما ينظر إلى النص على أنه وحدة دلالية: وحدة ليست في الشكل بل في المعنى.

لكن المصطلح المبني هنا بشكل عام يمكن أن يوصف على أنه مجموع معاني الرموز اللغوية المتضمنة في نصّ وعلاقاتها بالواقع؛ ولعله يقع ضمن واجبات الدلالة النصية (العلم الذي يبحث في دلالة النصوص)، أن يضع قواعد لتحديد الرموز اللغوية في النص وعلاقاتها المرجعية.

وانطلاقا من مثل هذا الفهم العام لمصطلح دلالة النص، طورت نماذج مختلفة لتخصيص" أبنية القاعدة الدلالية". وفيما يأتي نقدم أهم هذه النماذج.[1]

[1] – فولفجانج هاينه من وَديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بين شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة السعودية، 1999، ص ص 37–39

-إسهام النظائر: السمات المعجمية بوصفها دلائل على الترابط النصي

وضع جرايمز(1966) هذا النموذج الدلالي، على أن النصوص تعامل على أنها نسق من التوافقية(الاحتمالية) لسمات مختلفة في الوحدات المعجمية الموجودة في نص واحد. أو بشكل آخر: معنى النصوص ينتج حسب هذا النموذج قبل كل شيء من الخصائص المشتركة لسمات دلالية معينة/ الصفات الدلالية/ في الوحدات المعجمية الظاهرة في أي نصّ. لهذا الشكل من علاقة المعنى بين وحدات معجمية النص يستخدم جرايمز(Grimes) مصطلح النظائر، فهي تقوم على التكافؤ الدلالي بمعناه الواسع بين وحدات معجمية معينة في النص، مما يمكن إيضاحه عبر تكرار الصفة الدلالية (ورود الصفات الدلالية ذاتها في النص مرة أخرى) في وحدات معجمية مختلفة عن النص. بذلك تكون السمات السطحية ذات أهمية ثانوية فقط في تناسق النص، حيث يكون العامل الحاسم هو تلك الظاهرة الدلالية في تكرار الصفة الدلالية. تشكل وحدات معجمية النص الواحد المرتبطة بعضها ببعض على هذه الطريقة سلسلة نظائر/ سلسلة بؤرة، وفي حالة النصوص

الواسعة تكون عدة سلاسل من النظائر شبكة النظائر للنص الكامل، وهو الذي يكون مرة أخرى عاملا حاسما في إمكانات إيضاح تناسق النص. والأشكال الآتية من بناء تلك السلاسل من النظائر يمكن أن تفصل عن بعضها البعض:

- إعادة بسيطة/تكرار/: سائق –سائق؛
- استئناف متنوع

عبر مترادفات: سائق – قائد عربة

عبر رموز معممة: سائق – مشترك في حركة المرور

عبر رموز مضادة: سائق – ماش

عبر توصيف بديل: سائق – بطل الطريق الزراعي

- تعويض عبر عناصر قواعدية: سائق – هو هذا التكافؤ النسقي يمكن إكماله بتمثيل للدلالة النصية (التكافؤ الوظيفي):

(2) كارين.....

.....صغيرتنا.....

.....الشقراء

.... هي.....

..... كارين.....

..... صديقها.....

تساعد سلاسل النظائر السامع في قضية الفهم على إيصال سياقات المعنى، بأن توحد دلالة الوحدات المعجمية ذات إمكانات الاشتراك اللفظي. أصبح في الأعمال الحديثة يشار إلى شرط ثان هام لبناء سلاسل النظائر: يتحدد هذا الشرط في وجوب كون العناصر في علاقة النظائر تعود إلى ظاهرة الواقع نفسها. فقط في مثل حالة المرجعية المشتركة يمكن أن تعد الوحدات المعجمية المعنية أعضاء ضمن النظائر داخل سلسلة معينة. لذلك يجب أن ينظر بجانب التكافؤ الدلالي المسبب بواسطة تكرار الصفة الدلالية أيضا إلى هوية المرجعية على أنها علامة هامة في علاقة النظائر. ليس قبل هذا التعريف المزدوج بعلم "**دلالة الانعكاس**" و"**دلالة المرجعية**" يمكن أن تصبح سلاسل النظائر وسيلة لصهر النص ودمجه، لأن العناصر المتأخرة في تلك السلسلة تستوعب تخصيص المعنى من الوحدات الموجودة قبلها في النص، وتستمر في نقلها (مبدأ استمرار صلاحية أجزاء المعنى.

بسبب هذا الدور الهام للنظائر في تكوين النص وفي فهمه وضع هذا المفهوم في كثير من الدراسات أساسا لتعريفات النص

ذات الصبغة الدلالية. بذلك المعنى يعبر كالماير ضمن آخرين: يمكن تعريف النص دلاليا أنه التركيب المكون من واحد "س" من مستويات النظائر، حيث يتوقف عددها على عدد السمات المهيمنة في النص. وقد ثبت أنه رغم أن شبكة النظائر المقدمة هنا تشكل في الواقع شرطا هاما في تكوين النص، لكنها لا تكفي لإيضاح وحدة كليات النص، لأنه يوجد أيضا نصوص /أجزاء نصوص دون مثل هذه العلاقات فيما يخص النظائر الممثلة عبر سلاسل البؤرة

(3) المياه الفضية هاجت، وطيور الغاب العذبة زقزقت، وأجراس القطيع صوّتت، والأشجار الخضراء المتنوعة أصبحت ذهبية من شعاع الشمس

هنا يقوم سياق النص الموجود بلا شكّ على موضوع شامل، ولا يمكن فهمه من أجل ذلك بواسطة تحليل الصفات الدلالية فقط. وبالمقابل لا يكفي أيضا مجرد وجود تكرار الصفة الدلالية في تتابع القول، ليصنع من تتابع الجمل نصًّا.

(4)لا يوجد أحد لا يأخذ غناؤها بلبّه. مغنيتنا اسمها جوزيفين. غناء غناء كلمة من أربعة حروف. المغنيات يصنعن كلمات كثيرة.

هنا يوجد فعلا تكرار الصفة الدلالية في الوحدات المعجمية الممثلة عبر "الغناء" أو المبنية بواسطة الوحدة المعجمية، لكن لا يفهم هذا التتابع القولي بالطبع على أنه نص مترابط. لذلك يبقى ثابتًا أن إسهام النظائر يشكل وسيلة صالحة للاستخدام في وصف التبعية الدلالية لعناصر النص المعجمية(وأنه أيضا في دراسات علم اللغة النصي الحديثة يلعب دورا مهما، انظر: فان دايك(Van Dijk)/ كينتش(Kintsch)1973)، لكنه لا يصلح – بذاته – بسبب ما ذكر من القيود أن يكون نموذجا كافيا في إيضاح كليات النصوص.[2]

- توسيع مفهوم البنية العميقة إلى وحدات لغوية معقدة بيتوفي– فان دييك

حسب ما شرح عن فرضية التوسع أصبح مفهوما أن يمد مفهوم البنية العميقة(للجملة) المطور في إطار القواعد التوليدية التحويلية إلى الوحدات اللغوية المعقدة. مثل هذا النموذج –

[2]) فولفجانج هاينه من وَديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بين شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة السعودية، 1999، ص ص 39–42

المنطلق من مواقع الدلالة التوليدية – في إطار البنية العميقة للنص وضع بواسطة بيتوفي (Petofi)، ريزر(Reiser)، فان دايك(Van Dijk)، وإيهوه(Ihwe)تمّ تطويره على مراحل، انطلاقا من فرضية أن المرء يستطيع من قاعدة دلالية(مجموعة من أبنية – الخبر– الحجة المدروسة بوسائل المنطق الصوري) قياسا على الجمل أن يطور نموذجا صالحا للنص، وأن يشتق قواعد تكوينها بشكل نسقي. فقد طالب فان دايك في هذا الإطار بوجوب كون قواعد النص التوليدية التحويلية قادرة على ملاحظة إعادة البناء الشكلية للثروة اللغوية لدى مستخدم اللغة، وعلى إنتاج عدد غير محدود من النصوص.

لتحقيق هذا الهدف اتخذت المناهج طرقا مختلفة: بينما ارتأى ريزر قاعدة نصية تقوم على البناء الأفقي، طور بيتوفي/ إيهوه نموذجا في قواعد النص التوليدية على أساس قاعدة غير مبنية أفقيًّا (وكانت أولا قد نقلت من تتابع العناصر عبر عمليات خاصة إلى بنية سطحية أفقية)، ويمكن النظر إلى البنية العميقة للنص لدى فان دايك على أنها أول تخطيط لما عبر عنه لاحقا بمصطلح فرضية– البنى الكبرى.

وعلى الرغم من وجود مراجع القواعد المفرطة التفصيل – غالبا باتجاه المنطق الصوري – فإن ممثلي إسهام البنية العميقة للنص قد قابلتهم مشكلات جوهرية لدى تطبيق هذا النموذج على الدراسات النصية الفعلية. وقد أصبح هذا الأمر واضحا.

فالتفريق بين النصوص وغير النصوص. واستخدام النماذج في إطار تصور البنية العميقة للنص أسفر عن نتائج من ضمنها المدارك الجزئية التالية وإثارات حول تعريف النصوص:

- محاولة نموذج بيتوفي عن التداخل لأبنية النصوص والبنية العالمية،
- إشارة بيتوفي إلى أنه ينبغي عند تناول إنتاج النص وتلقيه فصل جوانب المتكلم والسامع؛
- فرضية فان دايك بأن المتكلم عند إنتاج النص ينطلق من فكرة رئيسة، وأن المعاني الجزئية تتراكم من هناك على مراحل.

أما فيما يخص تاريخ العلم فقد أثبت إسهام – البنية العميقة للنص أن مرحلة مرور (لا يحتاج لغير الذكر السريع). لا تتمثل محدوديته في الإجراءات الشكلية، التي طورت في إطار هذا النموذج؛ ولا يجوز أن تكون قاعدة المنطق الصوري الصارمة في

نماذج الدراسة(التي ينظر إليها على أنها تصلح ضمن شروط معينة للتعريف بالقضايا اللغوية) عاملا حاسما في أن ممثلي هذا الإسهام في الدراسة النصية تحولوا في منتصف السبعينات مرة أخرى عن تصور– البنية العميقة للنص؛ بل العامل الحاسم في هذا التحول هو على ما يبدو الإدراك بأنه بواسطة هذا النموذج يمكن دائما توليد جمل داخل النصوص، لكن ليس كليات النص بالصفات الهامة لها، حيث لا يمكن أن تفهم النصوص بأنها مجموع صفات المكونات المتضمنة فيها فحسب. والعاقبة الناتجة عن هذا الإدراك، بتناول المعطيات غير اللغوية(الظرفية والسياقية) في دراسة النصوص، تجعل هذا النموذج الأساسي عن شرح التعريف الاتصالي – الذرعي في النصوص كامل الوضوح.[3]

–النصوص باعتبارها مركبات قضوية

هذا النموذج الأساسي الدلالي يمكن أن يعد استمرار تطور وارتقاء بالإسهامين المذكورين من قبل: "ارتقاء" بالتصور المعجمي – الدلالي للنظائر على مستوى الدراسة النصية من واقع دلالة الجملة و "حل" نموذج البنية العميقة للنص من قيود النموذج

[3]) فولفجانج هاينه من وَديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي،ص ص: 42 –45.

النظري وبشكل خاص من المنطق الصوري (أي أنه ليس موافقا للغة). وقد أصبح مفتاح مفهوم التصور مصطلح القضية، لأنه يمكن أن يدرس ضمن مصطلحات القضايا كل من محتويات الجمل المفردة وربط هذه الوحدات ودمجها بمركبات قضوية من مختلف مراحل الهرمية.

المهم في نشأة هذا النموذج واستمرار تطوره قبل كل شيء الأعمال المحددة لهذا الاتجاه لدى فان دايك. فقد طالب ضمن أشياء أخرى، بأن لا يربط مفهوم القضية مع المفاهيم المنطقية" الحقيقة" و" الخطأ"، بل مع الأوضاع. ليست المطابقة مع النتائج (ممّا لا يشكّ أحد في أهميتها مطلقًا للأبحاث المنطقية)، بل المطابقة مع الصور في الاتصال اللغوي هي التي أصبحت أساسا لفهم النص القضوي.

- **فان دييك ومفهوم البنى الكبرى**

تفهم النصوص من زاوية نموذج القضية على أنها تتابع منتظم من قضايا ترتبط بعضها ببعض عن طريق تداخلها، حيث لا تقتصر العلاقات على القضايا المتجاورة فحسب، بل يتمّ التوصّل إلى إيجاد روابط مواكبة أيضا بين وحدات دلالية أكبر في النص،

فقد طور فان دايك نموذجا لتكوين البنى الكبرى للنص. ويمكن إعادة تكوين هذه الأبنية الدلالية الشمولية للمعنى في النصوص حسب فان دايك عبر تطبيق قواعد متشعبة، حيث يضاف من "البنى الصغرى"(أبنية القضية وأبنية التتابع) في وضع معية دائما وحدات نصية أكبر، أي يتمّ دمجها في وحدات معنى كبرى، حتى يتمّ أخيرًا استنباط البنية الكبرى للنص الكامل، موضوع النص.

ومفهوم البنية الكبرى يعود إلى تتابع المستويات "الأدنى"؛ لذلك تكون وحدات المستوى"س–1" بنية كبرى بالنسبة إلى المركبات القضوية في المستوى "س – 2 "، لكنها في الوقت نفسه بنية صغرى بالنظر إلى المستوى النص. إذا كانت س = صفر، تنتج عن ذلك الحالة الخاصة التي يقع فيها مستوى الصغرى ضمن مستوى الكبرى، فيصبح النص بالتالي يتكون من قضية واحدة فقط (مما يسمى"نصوص الجملة الواحدة")

يدخل فان دايك في نموذج دراسته ما يسمى الأبنية الشاملة. وبينما يمكن تعريف الأبنية الكبرى بأنها أبنية شمولية في محتوى

النص، يدور الحديث في الأبنية الشاملة عن أبنية شمولية نصية تعرف "نوع النص"، أو تحدّد روابط النص النوعية.[4]

[4] – فولفجانج هاينه من وَديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص 48.

المحاضرة الرابعة عشر نماذج القواعدية 3

الوصف النصي ذو التوجه التداولي

1.النموذج السياقي

ظهرت اغلب النماذج الدراسة النصية(1970م) حيث ركزت على توظيف النص في سياق الحياة العملية، كما توجد صياغات تعود إلى عوامل غير لغوية، لكن دراسة النص تداوليا لا تؤدي إلا دورا ثانويا، أما في نماذج النص الاتصالية يحاول فيها إدخال عوامل الموقف والسياق إلى دراسة النص، فتوضع العوامل التداولية منطلقا لكل دراسة نصية.

تعد نماذج السياق في الأصل عنصرا اتصاليا يضاف إلى الإسهامات التي تتعلق بدراسة النص، لأن ما يمكن دراسته لغويا لا يصلح إلا وسيلة لتحقيق أهداف معينة لدى شريك الاتصال(مثل الممارسات العملية، والحركات وتعابير الوجه)، مع ذلك تظهر النصوص على أنها الوسيلة المثلى لتحقيق الهدف الاتصالي.[1]

[1] – فولفجانج هاينه من وَديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بين شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة السعودية، 1999، ص56.

وفهم النص على أساس وظيفته الاتصالية يمكن استخدام الاتصال الفعلي، فقد أشير منذ السبعينيات إلى ضرورة تناول عوامل توظيف النصوص وشروط توظيفها في الدراسة النصية.

وقد حددت إسهامات للسياق الموقفي، منها:

- الاقتضاء باعتباره شرطا اتصاليا في الإنتاج لفهم النصوص.
- سلاسل النص"المدرجة" ضمنا، وهي متوقعة لدى السامع، يمكن فهمها بأنها حالة من الاقتضاء.
- الظواهر المصاحبة للغة (الحركة، تعابير الوجه، التوجيه الصوتي والإيقاع/ صورة الطباعة، الغلاف...).
- شروط المحيط المكانية – الزمانية للنصوص تجعلها تظهر بمعنى مختلف.

كل هذه الإسهامات تشترك في البحث عن وسائل ربط للنصوص، ويبقى النص يشكل منطلق الدراسة، حتى وإن طلب وضع وحدة النص (بوصفها تتابعا من أحداث مفروضة) في إطار

وقائع اتصالية مركبة إذ يتعلق الأمر بالعلاقة "النص – سياق الاتصال" وليس العكس.[2]

2. نظرية الأفعال الكلامية وتوسيعها الى مجال النص (مرتش فيهفيجر)

تحت تأثير نظرية الأفعال الكلامية طور نموذج أساسي منذ السبعينيات في لسانيات النص، ففهمت اللغة من خلاله بوصفها سلوكا بشري/ سلوك اتصالي اجتماعي، مما يرتبط مع ممارسات غير لغوية، حيث كان علم اللغة يرتكز على إيصال العلاقات بين أنماط الصوت والمعاني، فانطلقت البواعث للرؤية الجديدة إلى المجال اللغوي بواسطة استخدام اللغة ووظيفتها من علم النفس اللغوي ومن فلسفة اللغة (فلسفة اللغة اليومية).

الأسس المتصلة بنظرية الأفعال الكلامية

علق أوستين(Austin) وسيرل (Searle) على فرضية فيتجنشتاين(Wittgenstein) الشهيرة التي يتحدد بناء عليها "معنى

[2]) فولفجانج هاينه من وَديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بين شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة السعودية، 1999، ص58.

الكلمة بأنه استخدامها"، أي أن العوامل التداولية هي في النهاية التي تحدد المعنى الحقيقي للكلمات (والحدات اللغوية الأخرى). فالتلفظ بحدّ ذاته يمكن أن يعرف على أنه فعل أو ممارسة أو تصرف، ويتوقف عليه بشكل أساسي بناء ما يمكن تحقيقه بواسطة العمل اللغوي" How to do things with words" (كيف ننجز الأفعال بالكلمات) هو مضمون ما أصبح خطة لدى أوستين عندما توصف بدقة الشروط التي يتحقق بوجودها النطق والكتابة، أي المعنى الحقيقي للأقوال في التخاطب العملي.

مثل: علي يأتي غدا

يمكن أن يأخذ معاني مختلفة حسب الموقع، أي حسب ما يريد المتكلم، إن كان إبلاغا بالخبر، أو تحذيرا أو تهديدا.

لا يجوز أن تؤخذ اللغة بلفظها، بل يجب أن يثبت أنه بنطق كل جملة مفردة يتمّ إنجاز جزء من الأحداث المختلفة/الأفعال في الوقت نفسه:

1. فعل التلفظ، قول الجملة بشكل مطلق.

2. فعل الإنجاز النظري الذي يشير إلى ما ينبغي أن يعمل بالقول، وما ينبغي أن يحدث، مثلا: يحذر أحدا، أو يعد أحدا بشيء.

3. فعل الإنجاز التام: الذي يصف أثر القول اللغوي في السامع، أي ما يسببه لديه، مثلا: فرح أو غضب.

هذه الأفعال الكلامية الثلاثة لا تحدث تباعا، بل يتعلق الأمر بجوانب مختلفة في حدث لغوي واحد.

مثلا: قالت الأم: الكلب يعض!،

فإنها أتمت فعل التلفظ،(أنتجت قولا تمّ نقطه، وظهر فيه بناء قواعدي) فهي تطلق تحذيرا، وهذا فعل إنجاز نظري، وما يقوم به الطفل هو إنجاز تام.[3]

3. نموذج الوصف النصي الإجرائي (ديبوجراند ودرسلر)

قدم روبرت دي بوجراند /دريسلر(1981) إسهاما يتمحور حول وحدات نصية أو أبنية نص معينة، وكان اهتمامهما مركزا على كشف عمليات القرار والاختيار الإدراكية التي تكتسب أهمية لتكوين

[3]) فولفجانج هاينه من وَديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بين شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة السعودية، 1999، ص64.

وحدات النص وفهم هذه الوحدات. أي أن النصوص ما هي سوى محصلة تداخل عمليات كثيرة، تبرز في الورود الاتصالي للوحدة اللغوية

لذلك تحتل العمليات الإدراكية،" مراحل غلبة المعالجة" مركز الاهتمام في الدراسات.

نموذج إنتاج النص:

1. التخطيط: وضع الهدف واختيار أنواع النص: يتدبر منتج النص بواسطة" تحليل – الهدف – الوسيلة" ليصل إلى أفضل حالات الغاية المرغوبة في إنتاج نصّ جزئيًّا.

2. تشكيل الأفكار: أو وجود الأفكار وتشكيل المضمون من الداخل مما يعطي نقاط توجيه مسبقة.

3. التطوير: ترتيب المضامين المنتظمة في الذاكرة، والبحث عن مجالات العلم المخزنة، لتخصيص الأفكار المعثور عليها بشكل دقيق.

4. العبارة: البحث عن العبارات اللغوية التي تصلح لتنشيط المضمون الذهني.

5. التركيب القواعدي: وضع العبارات في علاقتها القواعدية، ويتم ترتيبها أفقيا في بنية النص السطحية.

يمكن في تؤثر المراحل الخمس بمراكز ثقل سريعة النمو في بعضها البعض في نفس الوقت، ويتم الخروج بشكل خاص عندما تنشأ في إحدى المراحل نتائج غير مرضية، وتصبح قضية إنتاج النص منتهية إذا تمّ الوصول إلى الرضا عن ذلك.

وتلقي النص حسب دي بوجراند/ دريسلر يشكل تريبا مواز لمراحل المعالجة "باتجاه معاكس": 1. التحليل القواعدي؛ 2. استدعاء التصور (=تنشيط العبارة)؛ 3. تمتين مراكز الثقل والتعرف عليها؛ 4. استدعاء الأفكار؛ 5. استدعاء الخطة. [4]

[4]) فولفجانج هاينه من وَديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بين شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة السعودية، 1999، ص90–95.